عصابة الموجات السرية

محمود سالم

عصابة الموجات السرية

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

عصابة الموجات السرية

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٧ ٢٦٤٧ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
«أحمد» وحده في قلب «باريس»!	١١
من «نابليون» إلى مصر!	١٧
سائق التاكسي الذي خدع «أحمد»!	٢٣
مواجهة في باطن الأرض!	٢٩
قنابل البلي تخفي كل شيء!	٣٥
الشياطين خلف مكتب الزعيم!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

«أحمد» وحده في قلب «باريس»!

أنهى «أحمد» مُهمَّته السرية التي كلَّفه بها رقم «صفر» في «باريس»، وجلس في حجرته بفندق «نابليون»؛ ليرسل رسالة إلى المقر السري. ضرب الأرقام الشفرية المتفق عليها، ثم فجأة توقَّف جهاز الإرسال. في هدوء، أخذ يُصلح الجهاز، لكنه لم يجد فيه أيَّ عُطل. لقد كان الجهاز سليمًا تمامًا، لكنه مع ذلك لا يعمل. فكر قليلًا، ثم قال – في نفسه: لعلَّ الموجة قد حدث فيها تغيير!

نقل الرسالة إلى الموجة الأخرى، فعمِل الجهاز، لكن الموجة الجديدة لا تنقل الرسالة إلى المقر السري. تساءل: هل حدث شيء؟ وهل يمكن أن تكون الموجة السرية التي يعمل عليها قد انكشفت؟ لم تكن هناك إجابات مُحدَّدة يمكن أن يتصرف على أساسها. لكنَّه — في نفس الوقت — وضع ذلك الاحتمال، وإن كان قد تساءل: تُرى مَن الذي يستطيع أن يكشف هذه الموجة السرية التي لا يعرفها سوى الشياطين، ورقم «صفر»، وعميل رقم «صفر» في «باريس»؟ …

فكر قليلًا، وبدأ يضع احتمالاتٍ أخرى، ويضع حلولًا أخرى للموقف. رفع سمَّاعة التليفون الموجود بجواره، ثم طلب عميل رقم «صفر». سأله عما حدث لموجة الإرسال، ولم يكد العميل ينطق بكلمة، حتى اختفى صوته.

ووضع «أحمد» السمَّاعة، ثم شرد قليلًا. قال في نفسه: هل يمكن أن تكون هناك إحدى العصابات تتبعه؟ وهل يمكن أن تكون قد اكتشفَت عميل رقم «صفر»؟!

كان كلُّ شيء يحدث مفاجأة له، غير أن المفاجأة لم تشلَّ تفكيره. لقد دفعته إلى مزيد من التفكير، بل إنه أيقن بسرعة أن فكره يعمل بطريقة جيِّدة، وهذه عادة الشياطين؛ إن عقولهم تعمل بقوة في أوقات الأزمات.

فكر إذا كانت هناك عصابة قد اكتشفت فعلًا الموجة السرية، فهذا يعني أنها تعرف مكانه؛ حيث يقيم في فندق «نابليون» بشارع «الشانزلزيه». بل إنها يمكن أن تكون قد وضعت خُطَّتها الآن، لتتخلص منه، أو تخطفه. في نفس الوقت، لا بد أن تكون قد وضعَتْ يدها على عميل رقم «صفر»، إن لم تكن قد خطفته فعلًا! …

قام وقطع عدة خطوات داخل الحجرة الفسيحة، حتى وقف أمام الشُّرفة العريضة. كان يظهر من بعيد «قوس النصر» الذي مرَّ من تحته القائد الفرنسي الشهير «نابليون»، والذي أصبح إمبراطور «فرنسا» بعد ذلك، والذي يُعَد واحدًا من أشد قُواد التاريخ … ومن خلال «قوس النصر»، كانت تظهر المسلَّة المصرية، وسط ميدان «الكونكورد» الفسيح. ظلَّ يتأمَّل المنظر، حيث توقَّفت عيناه عند المسلَّة الضخمة. إنه يعرف أنها نُقلت من «مصر» إلى «باريس»، بعد الحملة الفرنسية على «مصر». قال في نفسه: إن «مصر» موجودة في كل مكان!

ظل يُتابع المنظر، الذي كانت أضواء الليل تجعله وكأنه لوحة لفنَّان عبقري. لكن أفكاره لم تستمرَّ في نفس الخط؛ فقد عادت من جديد إلى ما حدث. كان من الضروري أن يُرسل إلى رقم «صفر»؛ ليُخبره أن المُهمة قد انتهت، ومن جهة أخرى؛ ليخبره بما حدث الآن. قال في نفسه: سوف أُجرب مرة أخرى، ربما يكون عطل مفاجئ قد تسبَّب في عدم الاتصال بعميل رقم «صفر».

اتَّجه إلى التليفون، ثم أدار القرص في حذر، لكنه توقَّف دون أن يُكمل الرقم … فكر لحظةً، ثم أدار القرص يطلب المركز الثقافي المصري في «باريس». لحظةً، ثم جاءه صوت من يتحدَّث. أدار معه حوارًا عاديًّا، يسأله عن العروض السينمائية التي يعرضها المركز، ثم شكره وأنهى المكالمة.

قال في نفسه: إن هذا يعني أن الجهاز سليم، وأن المسألة مُتعلقة فقط بعميل رقم «صفر»! لكنه مع ذلك طلب رقم العميل. رنَّ جرس التليفون، وظل يرِنُّ باستمرار، دون أن يجيب أحد. وضع السمَّاعة، وقد تأكَّد تمامًا أن العميل قد تعرَّض لشيء.

جلس في مقعدٍ وثير بجوار السرير، وشرد طويلًا، لكنه كان يُراقب كل شيء حوله؛ باب الحجرة المغلق، والشُّرفة، وباب الحمَّام المُلحق بالحجرة. في النهاية وصل إلى قرار. قام، واتَّجه إلى جهاز الإرسال، ثم أرسل رسالة عاديَّة إلى عميل رقم «صفر» في «إيطاليا». وفي لحظة جاءه الرد. أرسل له رسالة أخرى يقول فيها: «انتظِر رسالة هامَّة!» ثم أرسل رسالةً إلى عميل رقم «صفر» في ألمانيا، فجاءه الرد … بعدها أخذ يُرسل عدة رسائل إلى عدد

من عملاء رقم «صفر» في أنحاء العالم، وكل منهم له موجة سرية خاصة. وكانت النتائج كلها تؤكد أن موجة الإرسال إلى المقر السري في «باريس»، هي وحدها التي لا تعمل.

ابتسم وقال في نفسه: هذه مغامرة جديدة، لم أكن أحلم بها! وإذا كانت كل المغامرات السابقة خطيرة، فهذه المغامرة أكثر خطورة؛ إنها تتعلَّق بأسرار الشياطين!

نظر إلى ساعة يده، وكانت تشير إلى التاسعة مساء. أسرع يُرسل رسالة إلى عميل رقم «صفر» في «إيطاليا». كانت الرسالة بطريقة الشفرة: «١ – ١٠ – ٢٣ – ٢٦ – ١» ... وقفة ... «١ – ٢٣ – ٢٨» وقفة «١٠ – ٢١ – ٢٤» وقفة «١٤ – ٢٠ – ١٠» انتهت الرسالة. وكانت ترجمة الرسالة: «أرسلها إلى رقم «صفر».»

بعد لحظةٍ، أرسل الرسالة الثانية بطريقة الشفرة أيضًا: «١ – ٢٣ – ٢٤ – ٢٧ – ٢١ – ٢٠» وقفة «٧ – ١٦ – ٢٨ – ٢٠» وقفة «٣ – ٣ – ١٨ – ٨ – ٢٣» وقفة «٢٤ – ٢٧ – ٥ – ٢٦» وقفة «٢ – ١ – ٢٨ – ١٢» انتهت. وكانت ترجمة الرسالة: «الموقف خطير؛ تتعدل موجة «باريس».»

فكر «أحمد»: هل يغادر الفندق إلى الخارج؟ وأجاب على السؤال في نفسه: إن الخروج الآن قد يكون بداية للصِّدام، وهو لا يريد أن يصطدم بالعصابة الآن، حتى تأتي رسالة رقم «صفر»، ويكون على اتصالٍ بالشياطين. في النهاية، قرَّر أن يبقى بالحجرة، في انتظار رسالة عميل رقم «صفر» من «إيطاليا» ...

أخذ طريقه إلى الشُّرفة، ووقف فيها. كان هواء بارد قليلًا يتسلَّل من خلال الشُّرفة، ويُلامس وجهه فيجعله نشيطًا. كان الوقت منتصف سبتمبر، وهو مُناخ قريب من المناخ المصري. أخذ يتفحَّص الشُّرفة جيدًا؛ ليرى إمكانية أن يتسلَّل أحدٌ إليه. كان خارج الشُّرفة إفريز صغير، لا يسمح بمرور أحد. لكنه فكر — في نفس الوقت — أن رجال العصابات يستطيعون عمل أي شيء ... مرَّت ربع ساعة. فجأة، أعطى جهاز الاستقبال إشارة، فأسرع إليه. كانت هناك رسالة في الطريق.

بدأ يتلقَّى الرسالة، ويترجمها مباشرة. كانت الرسالة شفرية: «١ – ٢٣ – ٢٤ – ٦ – ٥ – ٢٦» وقفة «٦٠٠». وكانت ترجمة الرسالة: «الموجة ٦٠٠.»

أسرع «أحمد» يعدِّل موجة الجهاز، ثم أرسل رسالة سريعة إلى رقم «صفر». كانت الرسالة عن المهمة التي قام بها في «باريس»، والتي حققها بنجاح. في نهاية الرسالة قال: «إن هناك رسالةً أخرى». انتظر لحظة، ثم أرسل الرسالة الثانية؛ كانت الرسالة عن الموقف، واختفاء موجة إرسال «باريس»، وعدم رد عميل رقم «صفر» ...

شرح «أحمد» كل شيء، ثم انتظر الرد. مرَّت عدة دقائق، ثم جاءه الرد.

كان رقم «صفر» يقول بطريقة الشفرة: «٣ – ٦ – ٢١ – ٢١» وقفة «٢٤ – ١» وقفة «٢٠ – ٢٢ – ٣» وقفة «٢٠ – ٢٨ –٢٦» وقفة «١٨ – ١٤ – ١ – ٢ – ٢٦» وقفة «١ – ٢٢ – ٣ – ٢٠ – ٣» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٤ – ٢٧ – ٥ – ٢٦» وقفة «١ – ٢٣ – ١٨ – ٢٤ – ٢٨ – ٢٣» وقفة «٣٠ – ٢٨» وقفة «٢٤ – ٢٢ – ١ – ٢٥ – ٢٦» وقفة «٥ – ١٠ – ٩ – ١٢» وقفة «٢٠ – ٢٨» وقفة «١ – ٢٣ – ١٦ – ١٠ – ٢٨ – ٢١» انتهت. وكانت ترجمة الرسالة: «تحقَّق ما فكرت فيه؛ العصابة اكتشفت الموجة! العميل في مكانه. «بو عمير» و«ريما» و«خالد» و«باسم» في الطريق ...»

ابتسم «أحمد»، وقال: إذن، يجب أن أبدأ المغامرة الآن! ... نظر في ساعة يده، وكانت تُشير إلى العاشرة. قال في نفسه: هذا يعني أنهم سوف يصلون في حدود الثانية صباحًا.

نظر حواليه يرصد الحجرة جيدًا؛ حتى لا يعبث بها أحد، ثم أخذ طريقه إلى الخارج. أغلق الباب بالمفتاح، ثم اتَّجه إلى «الأسانسير». وقال في نفسه: ينبغي أن استخدم المصعد، ففيه تقل الفرصة لأن يهاجمني أحد.

ضغط الزر، فأضاءت اللوحة. كان المصعد في الدور العشرين، بينما يقف «أحمد» في الدور الرابع. مرت لحظة، ظهر خلالها أحد الرجال، وأخذ طريقه إلى المصعد، ثم وقف بجوار «أحمد». كان الرجل في منتصف العمر تقريبًا، تبدو على ملامحه البشاشة؛ ولذلك فعندما وصل قريبًا من «أحمد» حيَّاه بفرنسية سليمة. رد «أحمد» التحية بابتسامة هادئة، غير أن هذه التحية ذاتها جعلت «أحمد» يشك؛ فليس من عادة الأوربيين أن يفعلوا ذلك! وصل المصعد، وفتح الباب. أشار «أحمد» إلى الرجل أن يتقدَّم، إلا أن الرجل أشار لـ «أحمد» أن يتقدم هو.

فكر «أحمد» بسرعة: إن وجوده أمام الرجل يمكن أن يُعرِّضه للخطر؛ فسوف يكون ظهره له، إلا أنه مع ذلك تقدم. في نفس الوقت الذي كان يُركِّز فيه انتباهه على أي حركة. دخل الرجل بعد «أحمد» مباشرة. لم يكن أحد في المصعد سواهما؛ فلم يكن عامل المصعد فيه. ضغط «أحمد» الزرَّ، فتحرَّك المصعد إلى الطابق الأرضي، وعندما فتح الباب خرج بسرعة.

كانت صالة الفندق تكاد تكون خاليةً، إلا من عُمَّال الفندق، أو موظفيه. اتجه مباشرة إلى باب الخروج، في نفس الوقت الذي استطاع فيه أن يُلقي نظرة على الرجل، الذي كان يمشي مُتمَهِّلًا. فكر «أحمد»: هل يكون أحدهم فعلًا؟

وقف أمام باب الفندق.

كان شارع «الشانزليزيه» خافت الضوء، وكانت المحالُّ على جانبيه قد أغلقت أبوابها. إن «الشانزليزيه» يُعتبر واحدًا من أطول شوارع الدنيا وأعرضها، بجوار أنه يضم أشهر محلات الأزياء والمجوهرات والمسارح. كانت بعض واجهات محلات السهر مضاءة، وكان هذا يُلقي بأضواء مُركزة حولها. كان «قوس النصر» يبدو شاحبًا وسط الإضاءة الخافتة. فكر «أحمد» لحظةً: إن الاتجاه إليه الآن يبدو أكثر أمانًا؛ فالمساحة الواسعة تكشف أي حركة …

اتجه فعلًا إلى «قوس النصر» المُقام من الحجر الصخري الأبيض المُصفَر. كان المارَّة في الشارع قليلين، لكن الوقت كان يُغري بالسير. توقَّف عند «قوس النصر» الضخم الذي يمتدُّ فوق الشارع، وألقى نظرةً على المِسلَّة المصرية التي كانت تظهر بوضوحٍ الآن؛ تحت تأثير الإضاءة المُسلطة عليها … تذكَّر رحلاته إلى المناطق الأثرية في مصر، عندما زار الأقصر والبر الغربي، ومعبد الكرنك. تذكَّر أيضًا رحلته إلى مدينة قنا، عندما زار معبد «إيزيس»، غير أن ذكرياته لم تمتدَّ طويلًا.

فجأة، كانت أضواء سيارة مُسرعة تغمُر المكان، حتى إنه لم يعد يرى جيدًا، وكانت قوة الإضاءة سببًا في أن يتحرك من مكانه، في نفس الوقت الذي كانت السيارة قد أصبحت أمامه … وفي لمح البصر، رأى بريق طلقة تخرج من نافذة السيارة. كان صوت الطلقة مكتومًا، لكن الذي أطلقها لم يكن يظن أن «أحمد» قد فكر واستعدَّ. أصابت الطلقة طرَف «قوس النصر»، ثم ارتدَّت بعيدًا. عندما استطاع أن يرى جيِّدًا. كانت السيارة قد أصبحت في مكانٍ بعيد، ولم تكن تظهر سوى أنوارها الخلفيَّة. ظل ينظر في اتجاهها، وهو يُفكر: إنهم لن يختفوا الآن؛ فسوف يُعيدون الكرَّة مرة أخرى. وإذا كانت المغامرة قد بدأت بإطلاق هذه الرصاصة، فإنها لن تتوقف قبل النهاية! …

ظل في مكانه، بينما أخذ ينظر حواليه، حتى لا يُفاجأ بشيء. لم يكن هناك ما يلفت النظر. كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة، وأصبح الشارع خاليًا تقريبًا. لقد كان يقف ويده على مسدسه، في انتظار عودة السيارة، إلا أنها لم تعد. فكر أن يقطع عرض الشارع إلى الاتجاه الآخر، لكنه تردَّد؛ فالشارع عريض بما يكفي لأن يكون هدفًا لأي شيء!

عاد أدراجه إلى نفس الرصيف، في اتجاه الفندق. عند أول تقاطع عرضي مع شارع «الشانزلزيه» توقَّف لحظة. أخذ يرقب شارع ١٨ الضيِّق، القليل الضوء. قال في نفسه: من الممكن أن يحدث أي شيء في هذه الشوارع! قطع شارع ١٨ في حذر. وعندما اقترب من

شارع ٢٠ توقَّف أيضًا، وهو يُمسك مُسدسه في جيبه. توالت الشوارع ٢٢، ثم ٢٤، ثمَّ ٢٦. سمع صوت موتور سيارة يكشفه هدوء الليل. أبطأ خطواته، وركَّز سمعه. توقَّف صوت السيارة. فكر: ربَّما تكون إحدى سيَّاراتهم! … لكن صوت الموتور ارتفع مرَّة أخرى. فجأة ظهر تاكسي من شارع عرضيٍّ؛ كان يبعد عنه بحوالي مائة متر. توقَّف في مكانه، واستعدَّ؛ ربما تكون خدعة! لكن التاكسي استمرَّ في طريقه حتى اختفى. كان فندق «نابليون» لا يزال بعيدًا.

قال في نفسه: هل أستقلُّ تاكسيًا إلى الفندق، بدلًا من أن أُعرِّض نفسي للخطر؟ لم يتخذ قرارًا سريعًا. ظل يُفكر؛ فقد كان يخشى أن يكون التاكسي الذي يستقلُّه تابعًا لهم. استقرَّ رأيه — في النهاية — على أن يقطع المسافة سيرًا، حتى مع خطورة المسألة. وكان تفكيره صحيحًا؛ فما كاد يقترب من شارع ٣٤، حتى شعر بحركة لم يستطع رؤيتها، لكن إلهامه حدَّثه بأن شيئًا ما سوف يحدث. أنزل قدمه اليمنى من فوق الرصيف؛ ليقطع شارع ٣٤، ولم يكد يقطع خطوات أخرى، حتى انطلقت سيارة من الظلام في محاولة للقضاء عليه …

من «نابليون» إلى مصر!

لقد كان يُفكر جيدًا؛ ولذلك فإنه لم يندفع إلى الأمام، ولم يتراجع إلى الخلف؛ فهو يُدرك أن أي اتجاه منهما يجعله تحت سيطرة أي رصاصة، سواء من الباب الأيمن للسيارة، أو من الباب الأيسر. وهو يُدرك أيضًا، أن أفراد العصابة قد استعدوا تمامًا لكي يقضوا عليه، فإذا استطاع أن يقفز مُبتعِدًا عن طريق السيارة، فإن رصاصة واحدة يمكن أن تُنهي الموقف؛ ولذلك فقد تصرَّف بطريقة لم يُفكروا فيها؛ فقد قفز قفزة عالية، جعلته يرتفع أعلى من سقف السيارة، التي فرَّت مُندفعة في سرعة، وكانت هذه مفاجأة لهم. وقبل أن يُفكِّروا في أي تصرُّف آخر، كان «أحمد» قد اختفى!

لقد شاهد السيارة وهي تقف فجأة بعد أن تجاوزته، وفي سرعة كان اثنان قد نزلوا، لكنه كان يدرك كل هذا. ولهذا، فلم تكد قدماه تلمسان الأرض، حتى قفز قفزة واسعة، جعلته يقطع الشارع الضيِّق، ويختفي عند أوَّل مبنًى. كان بيتًا مُكونًا من أربعة أدوار، والباب مغلق. التصق بالباب؛ حتى يرى ما سوف يفعلونه. تحرَّكت السيارة مرة أخرى، وانطلقت في شارع «الشانزليزيه»، في نفس الوقت الذي تقدَّم فيه الرجلان معًا، في نفس الاتجاه الذي اختفى فيه. كان يراهما وهما يتقدَّمان ناحيته؛ استعدَّ حتى لا يُفاجأ بأي حركة منهما. توقَّف الرجلان لحظةً، وبدآ يتكلَّمان بصوت منخفض؛ فلم يستطع أن يسمعهما. كانا يبدوان كشبَحَين. لحظةً، ثم افترقا؛ كل منهما في اتجاه.

اقترب أحدهما منه، لكنَّه لم يتحرَّك من مكانه، وظلَّ مُلتصقًا بالباب كما هو. اقترب الرجل أكثر، وبدأت ملامحه تتضح أمام «أحمد». كان مفتول الذراعين، يبدو التجهُّم على وجهه، وكانت يده فوق مُسدَّس. انتظر لحظةً، حتى أصبح على مسافة تكفي لحركة قاتلة. وفي لمح البصر، انقضَّ على الرجل، حتى إنه لم يتحرَّك من مكانه، ولم يبدأ أي تصرُّف. لقد أدهشته المفاجأة! وفي لكمة قوية، كان الرجل يتراجع بشدَّة، إلا أن «أحمد» كان يُتابعه؛

حتى لا يُعطيَه فرصة التصرُّف، فعاجله بيمين مستقيمة جعلته يستمر في تراجُعِه. كان رصيف الشارع قد انتهى، فسقط في عرض الشارع. أسرع «أحمد» إليه، وضربه ضربة قوية جعلته يئن من الألم، إلا أن ذلك لم يكن كافيًا. لقد رفعه «أحمد» بين ذراعيه، حتى أوقفه على قدمَيه، ثم ضربه في وجهه ضربة خُطَّافية جعلته يتكوَّم على الأرض!

كان «أحمد» قد حفظ ملامح الرجل جيدًا، ولذلك قال في نفسه، بسرعة: إن هذا يكفي؛ فقد نحتاجه فيما بعد. تركه مُكوَّمًا على الأرض، ثم قفز بسرعة في اتجاه أقرب مبنًى إليه. وعندما التصق بجدار المبنى، ألقى نظرة سريعة على المكان. كان ينتظر الرجل الآخر، غير أنه لم يظهر. تقدَّم ببُطءٍ بجوار الجدار إلى الشارع، ولم يكد يصل إليه حتى ارتدَّ بسرعة؛ لقد رأى الرجل الآخر مُقبِلًا.

كتم أنفاسه، وانتظر، وكانت خطوات الرجل تُسمع في هدوء الليل. ظل ينتظر تبعًا لصوت الخطوات، لكن فجأة اختفى الصوت. تسمَّع بتركيز شديد، لكن لم يكن هناك سوى الصمت. فكر أن يتقدَّم نصف خطوة؛ ليرى الرجل، لكنه تراجع؛ فقد يفاجئه؛ فربما كان الرجل فكر نفس التفكير.

مرَّت لحظات متوتِّرة، وكما فكر «أحمد» تمامًا؛ كان الرجل يتصرَّف. ففجأة، برز وجه الرجل عند بداية جدار المبنى. كان ضوء خافت يتسرَّب في الشارع الضيِّق، فيلقى بعضه على وجه الرجل. كتم «أحمد» أنفاسه، وانتظر، وعندما بدأ يخطو أول خطوة، كانت مؤخِّرة مُسدَّس «أحمد» قد نزلت كالصاعقة فوقه. وقبل أن يُفيق من أثر الضربة، وأثر المفاجأة، كان «أحمد» قد سدَّد إليه يمينًا مستقيمة أطاحت به، لكن الرجل كان من القوة بحيث تحمَّل الضربتين، فارتدَّ كالثور الهائج في اتجاه «أحمد»، الذي كان قد استعدَّ له. تلقَّى لكمة قوية استطاع أن يجعل أثرها ضعيفًا. في نفس الوقت، كانت عيناه على يد الرجل؛ حتى لا يستخدم مُسدسه، لكن الرجل كان قد فكر في ذلك فعلًا. وقبل أن تمتدَّ يده السريعة إلى المُسدس، كان «أحمد» قد انحرف بسرعة عند نهاية المبنى ليختفي.

لقد فكر بسرعة: إن المسافة لم تكن كافية، حتى يتمكن من اصطياده بضربة. لكنه يستطيع أن يصطاده من جديد. فإذا هرب، فإنه يكون مرشدًا آخر لبقية العصابة؛ فقد حفظ ملامحه أيضًا. دار «أحمد» بسرعة حول المبنى، لكن عند نهايته، رنَّت طلقة عند قدمه، فقفز قفزة كافية لأن يختفي عند المنحنى الجديد. لقد دخل في لعبة صيدٍ الآن؛ إما أن يصطاد الرجل، أو يصطاده الرجل! فكر قليلًا، وقال في نفسه: المؤكَّد أنه لن يكون وحده الآن؛ فسوف تعود سيارة العصابة، أو ينضم إليه أحد. إن أحسن تصرُّف الآن هو

الاختفاء! بسرعة أخذ يُنفذ ما فكر فيه، وسار في الاتجاه المعاكس؛ فقد فكر في أنهم سوف يبحثون عنه في دائرة المكان.

ظل في طريقه يسير حذِرًا، حتى ابتعد تمامًا. أخذ اتجاه الفندق، ثم بدأ رحلة العودة. كان في طريقه يبتعد عن الأماكن المضاءة؛ حتى لا ينكشف. وعندما بدأ يقترب من الفندق، فكر لحظة: إنهم بالتأكيد يعرفون المكان الذي ينزل فيه؛ ولذلك فإنهم ينتظرونه! فهم يعرفون الفندق من رصدهم لموجة الإرسال القديمة. توقف لحظة، بينما كان الفندق يبدو أمام عينيه. قال في نفسه: إما أن أُدبر حِيلة لدخول الفندق؛ فلا يكتشفوني، وإما أن أُغيِّر الفندق الآن! لم يتخذ قرارًا سريعًا. تحرك من مكانه إلى منطقة أخرى أقرب، ثم قال لنفسه: إن الشياطين لا يتراجعون أبدًا، وسوف أعود إلى الفندق!

في لحظات، كان قد أخرج أدوات الماكياج من حقيبته السحرية الصغيرة، ثم أجرى بعض الخطوط على وجهه، ووضع شاربًا كثيفًا، ثم تحرك من مكانه. أخذ يقترب من الفندق على مهل، ثم فجأة خطرت له فكرة أخرى، يمكن أن تَصرِف نظرهم عنه تمامًا. لقد تصنَّع العرَج؛ أخذ يعرج في مشيته وهو يقترب، وكأنه مُصاب بعاهة. عندما أصبح أمام الفندق تمامًا، حيث تزداد الإضاءة، ابتسم ابتسامة خفيفة؛ فقد حدث ما فكر فيه تمامًا. لقد كان رجل العصابة يسير على مهَل قريبًا من الفندق، ثم أخذ يقترب منه.

فكر: هل يمكن أن يكتشفه الرجل وهو على هذه الهيئة؟ لقد تغير شكله، وتغيرت مشيته! … أصبح الرجل على بعد أمتار منه، لكنه لم يتردد. تجاوزه الرجل وهما أمام باب الفندق تمامًا. دفع باب الفندق، ثم دخل. ومن خلال الباب الزجاجي، شاهد الرجل وهو يبتعد. لم يكن أحد في صالة المكان، سوى موظف الفندق يجلس وحده؛ ألقى إليه تحية المساء، وكان قد اعتدل في مشيته، ثم اتَّجه إلى المصعد، وعندما توقَّف به عند الطابق الرابع غادره في حذر؛ خشيةَ أن يكون هناك مَن ينتظره.

في الطريق إلى حجرته، التي تبعد قليلًا عن باب المصعد، فكر: هل يمكن أن يكون هناك أحد في الغرفة، أو يكون هناك شرَك خداعي؟ قنبلة زمنية مثلًا، يمكن أن تنفجر بمجرَّد أن يفتح الباب! إنه يعرف أن العصابة لن تتردد في عمل أي شيء، حتى لو كان نسف الحجرة كلها وهو بداخلها. ولذلك، فعندما وقف أمام الباب، أخرج جهازًا دقيقًا للكشف عن المتفجرات …

وفجأة، اتسعت عيناه دهشة؛ لقد حدث ما توقعه. لقد تحرَّك مؤشر جهاز الكشف! فكر بسرعة: هل القنبلة مرتبطة بأُكرة الباب، فإذا أدار الأُكرة انفجرت؟ أو أنها قنبلة زمنية تنفجر في وقت مُعيَّن؟ …

قال في نفسه: إن الاحتمال الأول هو الأقوى؛ لأنهم لا يعرفون الوقت الذي سوف يعود فيه؛ ولذلك فتحديد الزمن مسألة صعبة. إذن، فلو أدار أُكرة الباب، فسوف تنفجر القنبلة. كيف يفتح الباب إذن؟ …

فكر لحظة، ثم نظر في ساعة يده؛ لقد كانت تُشير إلى الواحدة والنصف صباحًا. قال في نفسه: إن الشياطين على وشك الوصول، لكن المهم الآن هو دخول الحجرة وإبطال مفعول القنبلة. ظل يتأمَّل الأكرة؛ كانت مُثبَّتة بأربعة مسامير، داخل دائرة نحاسية. بسرعة، جاءه الحل؛ أن يفُكَّ المسامير الأربعة، وبذلك تخرج الأكرة من الباب دون أن يُديرها.

أخرج خنجره، ثم استخدم طرَفه في فكِّ المسامير. كان يفكُّها بحذرٍ؛ حتى لا يحدث أي خطأ. وفي دقائق، كان قد خلع الأكرة من مكانها. وبهدوء، وضع المفتاح في مكانه، ثم أداره، وفتح الباب. وقف لحظة يتأمَّل المكان؛ كان كما تركه تمامًا. أضاء النور، فغرِقت الحجرة في الضوء، بعد أن كانت مُضاءة بتأثير الأضواء الخارجية للشارع. وقعت عيناه على خيط رفيع دقيق؛ عرف أنه الخيط الذي يوصل الأُكرة بمسمار القنبلة … مشي تبعًا للخيط؛ كانت القنبلة مُثبَّتة في السرير. وبحذر شديد، فكَّ الخيط عنها، ثم نزع فتيل الاشتعال، فأبطل مفعولها. عاد إلى الباب، وأخذ يُثبِّت الأُكرة كما كانت.

قال في نفسه: إذن لقد دخلوا الحجرة، لكنهم لا يملكون قنابل أحدث. إن قنبلة الضوء كانت تستطيع أن تُنهي هذه الحكاية، دون أكرٍ، ودون خيط؛ فهي تنفجر بمجرد أن يُضاء النور؛ لأنها تعمل بجهاز حسَّاس، ينفجر بتأثير الضوء.

ضغط زرَّ جهاز الكشف، وبدأ يدور في الحجرة؛ حتى يأمن وجود أي شيء. ظل مؤشِّر الجهاز ثابتًا لا يتحرَّك، فعرف أنهم اعتمدوا على هذه القنبلة فقط. جلس في الكرسي المريح، وبدأ يُفكِّر.

تناهى إلى سمعه صوت دقَّات ساعة؛ كانت تُعلن الثانية صباحًا.

ابتسم، وهمس لنفسه: لقد وصل الشياطين! … ولم يكد ينتهي من جملته، حتى كان جهاز الاستقبال يلتقط رسالة؛ كانت الرسالة من الشياطين. قالت الرسالة الشفرية التي استقبلها: «١ – ٢٣ – ١٣ – ٢٨ – ١ – ١٦ – ٢٨ – ٢٥» وقفة «٧ – ٢٨» وقفة «٢ – ١ – ١٠ – ٢٨ – ١٢» وقفة «٧ – ٢٥ – ٨ – ٢١» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٢ – ٦ – ٢٥ – ٢٢ – ٦ – ١٠ – ٨» انتهى. ترجم الرسالة بسرعة؛ كانت تقول: «الشياطين في «باريس»، فندق «الكونكورد».» تنفَّس «أحمد» في ارتياح …

أخيرًا، سوف تبدأ المواجهة الشاملة. إن العصابة الخفيَّة هي الوحيدة الآن التي تعرف أن هناك مَن يقف ضد أي انحرافٍ؛ ولذلك ينبغي القضاء عليها. أرسل رسالة شفرية إلى

الشياطين: «٢٥ – ١ – ٢ – ٢٣ – ٢٨ – ٢٧ – ٢٥» وقفة «١ – ١٤ – ٨ – ١ – ٢٤» وقفة «٢ – ٨ – ١» وقفة «١ – ٢٥ – ٣ – ٢١ –٢٣» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٨» وقفة «٢٤ – ٢٢ – ١ – ٢٥» وقفة «١ – ٧ – ١٠» انتهت. وكانت الرسالة تعني: ««نابليون»، الصدام بدأ؛ انتقل إلى مكانٍ آخر!» ...

بعد أن أرسل الرسالة، بدأ يُفكِّر في الخروج. فكر لحظةً، ثم أخرج خريطته الصغيرة، وبدأ يُحدِّد مكان الفنادق في «باريس»، وأقربها إلى فندق «الكونكورد» الذي ينزل فيه الشياطين. وقعت عيناه على فندق قريب منهم، يقع في نفس الميدان. كان اسم الفندق «إيجبت» ويعنى «مصر». ابتسم، وقال في نفسه: يجب أن أنتقل إلى مصر! ... وفي دقائق، كان قد جمع حاجاته، ثم خرج.

كان الماكياج لا يزال يُغطِّي وجهه، وعندما دخل المصعد الذي لم يكن قد تحرَّك من مكانه، ألقى نظرة سريعة على المرآة المُثبَّتة أمامه، ثم ابتسم. لقد كان شخصيَّة مختلفة تمامًا، حتى إن الشياطين يمكن ألا يعرفوه. توقَّف المصعد عند الطابَق الأرضي، فخرج في هدوءٍ، واتَّجه إلى موظَّف الاستعلامات، وأنهى ارتباطه بالفندق، ثم اتَّجه إلى الباب. ما إن خطا خطوة، حتى تذكَّر أنه لا بُدَّ أن يستدعي تاكسيًا. عاد إلى الداخل، واتَّجه إلى التليفون، ثم أدار القرص وتحدَّث. حدَّد المكان الذي يقف فيه أمام فندق «نابليون». قال له المُتحدث: إن التاكسي سوف يكون عنده في خلال خمس دقائق. وضع السمَّاعة، ثم نظر في ساعة يده؛ كانت الثانية والنصف إلا خمس دقائق. فكر لحظة، ثم اتَّجه إلى أحد المقاعد المنتشرة في الصالة وجلس. إنه لن يخرج مباشرة؛ حتى لا يكون تحت أعين رجال العصابة، الذين يحاصرون المنطقة الآن؛ فبالتأكيد هم في انتظاره!

كانت عيناه على ساعة يده، بينما كانت أفكاره تعمل بسرعة. فكر: إن الخروج الآن مسألة لافتة للنظر، خصوصًا وأن التاكسي سوف ينقلني من فندق إلى فندق آخر. وإذا فُرض أن سائق التاكسي يعمل معهم، فإنه بالتأكيد سوف يعرف. إن استنتاجًا سريعًا يمكن أن يكشف كلَّ شيء. ظل مُتردِّدًا، ولم يقطع برأي نهائي، لكنه في النهاية فكر: هل يذهب إلى مطار «أورلي»، ويظل هناك حتى الصباح، ثم يعود من هناك إلى فندق «مصر»؟

كانت هذه فكرة جيدة، لكنه لم يُقرِّر بعدُ تنفيذها ... فقد كانت الساعة الثانية والنصف تمامًا. ومن خلال زجاج الباب، رأى التاكسي يصل، ويقف أمام باب الفندق مباشرةً، ولم يكن أمامه إلا أن ينصرف؛ حتى لا يلفت نظر موظَّف الاستعلامات.

سائق التاكسي الذي خدع «أحمد»!

خرج «أحمد» من الفندق، بنفس مشيته التنكُّرية؛ كان يعرُجُ عرَجًا واضحًا، وعندما وصل إلى التاكسي، فتح الباب وهو يشير إلى السائق، الذي ألقى عليه نظرةً فاحصة، جعلته يشكُّ في الأمر، لكنَّه لم يكن يملك الآن فرصة التراجُع عن قراره …

فكر بسرعة، ثم قال للسائق: مطار أورلي؛ إن أمامي ساعة واحدة فقط …

هزَّ السائق رأسه، ثم انطلق. كان «أحمد» قد جعل السائق تحت عينيه تمامًا؛ حتى لا يأتي بحركة مفاجئة. وإن كان قد فكر — في نفس الوقت — أن السائق إذا كان منهم، فإنه لن يشكَّ فيه، فإن هيئته الجديدة لا تلفت نظر أحد …

عندما خرج التاكسي من «باريس» إلى مطار «أورلي» الذي يقع خارج المدينة، بدأ سائق التاكسي يتحدَّث. لفت ذلك نظر «أحمد»؛ فهو يعرف أن سائقي التاكسي في أوروبا لا يتحدَّثون مع الركَّاب، إلا إذا تحدَّث إليهم أحد؛ ولذلك، فقد بدأ يشكُّ في الرجل، وفي نفس الوقت بدأ يكون حذِرًا.

قال السائق: لعلك قضيت وقتًا طيِّبًا في «باريس»!

رد «أحمد»: نعم … إن «باريس» مدينة رائعة!

السائق: هل السيِّد من «إسبانيا»؟

كان «أحمد» يرى وجه السائق في مِرآة السيارة، فابتسم قبل أن يقول: ولماذا «إسبانيا» بالذات؟!

السائق: إن لون الإسبانيِّين مُميَّز!

أحمد: ولماذا لا أكون من «البرازيل» مثلًا، أو «الهند»؟

السائق: البرازيلي لونه يكاد يكون أسود، والهندي شعره غزير كالليل، وأنت لست كذلك!

ضحك «أحمد» بصوت مرتفع، وكأنه يخلق نوعًا من العلاقة الطيِّبة مع السائق. قال في النهاية: لست من إسبانيا مع ذلك!

السائق: من أين إذن؟

أحمد: من مصر.

ابتسم السائق، وظهرت أسنانه الصفراء قليلًا، ثم قال: لعلَّك رأيت مِسلَّتكم إذن!

ردَّ «أحمد» بابتسامة، وقال: نعم ... ثم ضحك وهو يُضيف: لقد فكرت في اصطحابها معي!

ضحك السائق، وقال: إنها أثر عظيم؛ نحن فخورون بأنها عندنا، ولعلَّك رأيت اهتمامنا بها!

كان الحديث رقيقًا وهادئًا؛ ولذلك فقد بدأ «أحمد» يُلغي فكرة الشك فيه. سأل بعد لحظة: هل رأيت الملك «توت عنخ آمون» عند زيارته لكم؟

قال السائق بأَسَفٍ: لقد حاولت يا سيِّدي، لكن الزحام كان شديدًا على الملك؛ فلم أستطع مشاهدته! غير أني أنوي أن أزور بلادكم، عندما أدَّخر ما يكفي لأن أقضي وقتًا مُمتِعًا في بلادكم الجميلة!

كان الليل يحوط كلَّ شيء، وكانت الأضواء هادئة على جانب الطريق. في نفس الوقت، كان «أحمد» يعرف أن المطار لا يزال بعيدًا. قال في نفسه: إن الحديث مع الرجل، يمكن أن يقطع الوقت، وإن كان ينبغي أن أُرسل للشياطين، حتى لا يشعروا بالقلق. غير أنه لم يُنفِّذ أيًّا من الفكرتين؛ فلم يكن بحاجة إلى الحديث من جهة، ومن جهة أخرى لم يكن باستطاعته الآن أن يرسل الرسالة؛ فهو يعرف أن السائق ينظر إليه بين كلِّ لحظةٍ وأخرى. فجأةً، شَمِل التاكسي ضوءٌ قوي؛ كانت هناك سيارة قادمة من الخلف، تُرسل أضواءها القويَّة. رفع السائق يده وغطَّى المِرآة.

فقال «أحمد»: لِمَ لا تُغيِّر اتجاهها؟

ردَّ السائق: إن الضوء قوي بدرجة عالية، حتى إنني لا أكاد أرى.

بدأ يخفض سرعة السيارة وهو يقول: فلنتركها تمضي.

اقتربت السيارة الخلفية أكثر، وبدأ «أحمد» يشك في الأمر. قال في نفسه: لعلهم اكتشفوا خروجي من الفندق ... أو لعلهم انتظروا انفجار القنبلة، فلمَّا لم تنفجر دخلوا الحجرة، فاستنتجوا في النهاية أنني خدعتهم.

بدأت السيارة الخلفيَّة تقترب بجوار التاكسي تمامًا. ألقى «أحمد» نظرة على مَن بداخلها، فعرف أحد الرجلين. فكر بسرعة: إن الموقف سوف يصل إلى الصِّدام، لكنَّه صدامٌ

غير متكافئ، لكن لا بأس أن يبدأ ... تجاوَزَت السيارة التاكسي، ثم توقَّفتْ أمامه فجأةً، غير أن السائق كان يقِظًا تمامًا، فانحرف بسرعة، وتفادى السيارة، ثمَّ انطلق.

قال السائق: يبدو أننا سوف نتعرَّض لبعض المتاعب ...

سأل «أحمد» في هدوء: لماذا؟

قال السائق: ألم ترَ السيارة التي توقَّفت أمامنا فجأة؟! ...

ردَّ «أحمد»: ظننت أنها اضطُرَّت إلى ذلك!

قال الرجل: لا، هذه ليست حركة سيارة تُصاب بعطل فجأةً؛ إنها حركة مقصودة! ...

سأل «أحمد»: وماذا يريدون؟!

قال السائق: لعلهم يظنون أنك أحد الأثرياء!

ضحك «أحمد»، وقال: هل يبدو عليَّ الثراء؟! ...

في نفس اللحظة، غمره ضوءٌ مُنبعِث من الزجاج الخلفي للتاكسي. نظر خلفه، لكنه لم يستطع رؤية شيء. لقد كانت إضاءة السيارة قويَّة تمامًا، لدرجة أنه اضطُرَّ إلى أن يُغلق عينيه!

سأل «أحمد» السائق: هل تستدعي الشرطة؟

قال السائق بعد لحظة: سوف أنتظر؛ ربَّما يكون ما حدث مُصادفةً! ...

في نفس الوقت، كانت هناك سيارة آتية من الاتجاه المقابل، لكنها لم تكن تُعطي نفس الضوء القوي. اقتربت السيارة الخلفية، لكن اقترابها كان يبدو محسوبًا هذه المرة. بعد لحظات، تجاوزت التاكسي بسرعة مفاجئة، ثم سبقته. وبنفس المفاجأة، توقَّفت بعرض الشارع، لكن سائق التاكسي كان يقِظًا تمامًا للحركة التي حدثت؛ فقد داس فرامل التاكسي بقوَّة جعلته يزحف ويُصدر صوتًا عاليًا. في نفس الوقت، قال السائق: هذه حركة أخرى مقصودة. لقد فكروا أنني سوف أتفادى سيارتهم التي تقف بعرض الشارع، فأضطرُّ للخروج إلى الجانب الآخر من الطريق، فأصطدم بالسيارة القادمة ...

كانت السيارة القادمة تمرُّ في نفس اللحظة في الجانب الآخر، ورأى «أحمد» رجلين يُغادران السيارة بسرعة، وهما يُشهران مُسدَّساتِهما.

سأل السائق بسرعة: هل يحمل السيِّد أشياء ثمينة؟ ... ابتسم «أحمد»، وقال: لا أحمل شيئًا سوى رأسي، إن كان يبدو ثمينًا! ...

ضحك السائق بقوَّة، وكأنه قد فقد أعصابه. قال: إذن استعد!

سأل «أحمد»: ماذا تعني؟ ...

قال الرجل وهو يتحرَّك بالتاكسي: سوف أدخل في معركة أظن أنك لا بُدَّ أن تشاركني فيها ... إن هذا هو الحلُّ الوحيد ...

دُهش «أحمد» لكلمات السائق؛ فهذا التصرف لا يفعله سائق تاكسي عادي. كان الرجلان يتقدَّمان في بطء، وقد شهرا مُسدَّساتهما، بينما كانت سيَّارتهما تقف بعيدًا قليلًا. فجأةً، أضاء السائق إضاءة قوية، جعلت الرجلين يضعان أيديهما على عينيهما. في نفس الوقت الذي اندفع فيه التاكسي بقوَّة عالية، بينما كانت يد السائق تُطلق طلقات متوالية من مُسدَّس كان يحمله، حتى إن كلًّا من الرجلين قد ألقى نفسه في جانب من الطريق، وبصعوبة استطاع السائق أن يمرَّ بجوار أحدهما؛ حتى لا يدوسه ويقضي عليه.

كان هذا يحدث في دقائق سريعة، لكن لم يكد التاكسي يتجاوز السيارة، حتى أطلقت الرصاص عليه. ولم يكن أمام «أحمد» إلا أن يدخل المعركة، فهو حتى الآن لم يكن يدري شيئًا! لقد كان دهِشًا من تصرُّف السائق؛ إن ما يفعله لا يفعله سوى الشياطين، لكن، أين هم الآن؟

كانت السيارة الأخرى قد بدأت مطاردتها. فكر «أحمد» لحظةً، وفي هدوء، أخرج قنبلة دُخانيَّة؛ فقد كان يعرف أن أفراد العصابة لن يتركوه، ولن يتركوا السائق. وكان من واجبه الآن أن يقف بجوار السائق الذي أنقذه منهم ... نزع فتيل القنبلة، وفي هدوء، بينما كان التاكسي ينطلق بسرعة كبيرة، أنزل زجاج النافذة، ثم انتظر.

قال السائق بسرعة: أغلِق الزجاج؛ إن الهواء قوي ...

لم يردَّ «أحمد» مباشرة، فقد كان مشغولًا في هذه اللحظة بمراقبة سيارة العصابة من الزجاج الخلفي؛ كانت السيارة تقترب. قال في نفسه: إنها تسير بسرعة غير عاديَّة، ولا بُدَّ أنها سيارة خاصَّة للمُطاردات!

قال السائق مرَّة أخرى: أرجو أن تغلق الزجاج يا سيِّدي، وأن تُدخل يدك.

كان «أحمد» قد أخرج يده التي تحمل القنبلة، وانتظر أن تقترب سيارة العصابة إلى مسافة معقولة. اقتربت السيارة إلى المسافة التي يحتاجها، فألقى القنبلة، وبسرعة أغلق الزجاج ... نظر خلفه، ورأى الدُّخان يملأ الطريق. كانت أضواء سيارة العصابة تُنير الطريق. لكنَّها اضطرت أن تُهدِّئَ من سرعتها؛ ولذلك فقد كان ضوءها يتباعد شيئًا فشيئًا.

في نفس الوقت، ابتسم السائق وهو يقول: إنها فكرة جيِّدة، أعرف أنك سوف تلجأ إليها!

نظر «أحمد» إلى السائق في دهشة، ثم سأل: وما الذي جعلك تعرف؟

ضحك السائق طويلًا؛ فقد كانت أضواء المطار تظهر، وتقترب. أعاد «أحمد» السؤال، غير أن السائق قال: بعد أن تُغيِّر السيارة، سوف تعرف كلَّ شيءٍ!

اتَّسعت عينا «أحمد» دهشة، وظلَّ ينظر في مرآة السيارة التي أعادها السائق إلى مكانها. كان وجه الرجل يبدو واضحًا فيها. حاول «أحمد» أن يتذكَّر أنه قابله يومًا، أو أنه أحد الشياطين قد اختفى تحت الماكياج، إلا أن ذلك كان مستحيلًا؛ فالشياطين لا يعرفون تفاصيل ما حدث، وإن كانوا قد عرفوا أن الصِّدام قد بدأ.

ضحك السائق ضحكة قويَّة، وقال: لا تحاول أن تُجهِدَ ذاكرتك؛ فقد نحتاجها في طريق العودة …

ابتسم «أحمد»، وقال: إن تصرُّفَك يُحيِّرُني يا سيِّدي! …

أجاب الرجل: لا بأس، ولا تدعني أكشف كلَّ أوراقي دفعة واحدة …

كان التاكسي قد دخل دائرة المطار، فقال الرجل بسرعة: يمكن أن تدخل الآن، وتُغيِّر شكلك مرَّة أخرى؛ حتى نستطيع العودة معًا. إنهم لا يعرفون شكلي؛ لم تكن أمامهم فرصة لذلك …

امتلأ «أحمد» بالدهشة، وتساءل: مَن يكون هذا الرجل؟ إن أحدًا لا يعرف ما حدث، ولا يمكن أن يكون لأحدٍ اتصال برقم «صفر» … وحتى رقم «صفر» لا يعرف ما حدث هذه الليلة …

كان التاكسي قد وقف أمام باب المطار. فقال السائق: سوف تنتظرك سيارة مرسيدس بيضاء، أرقامها سوف تعرفها عندما تراها …

ثمَّ ضحك الرجل مرَّة أخرى، وقال بعد أن فتح «أحمد» الباب ونزل: ينبغي ألا تتأخَّر؛ فإنهم سوف يكونون هنا حالًا …

لم يعد «أحمد» يُفكِّر؛ لم يكن أمامه الآن إلا أن يتصرَّف بسرعة، وأن يترك اكتشاف شخصيَّة الرجل إلى وقت آخر؛ ففي طريق العودة يمكن أن تظهر أشياء كثيرة. دخل صالة المطار، وبحث بعينيه عن مكان الحمَّام، وعندما وقعت عيناه عليه، أسرع في اتجاهه. دخل بسرعة؛ لم يكن أحد موجودًا. أغلق على نفسه الباب، وفي لمح البصر أزال الماكياج، ثم بدأ يضع ماكياجًا آخر.

لم تستغرق العملية دقائق … فكر في نفس اللحظة أن يُرسل رسالة إلى الشياطين، ونفَّذ فكرته في الحال. كانت الرسالة شفريَّة، وكانت تقول: «الطريق إلى «أورلي»، المطاردة بدأت. سيارة مرسيدس بيضاء.»

فكر لحظة: إن هناك عشرات السيَّارات المرسيدس البيضاء، ولا بُدَّ من ذِكر الرقم! نظر لنفسه في المرآة. كان عقله يعمل بنشاط. فجأة توصَّل إلى نتيجةٍ ما، فغرق في الضحك. أكمل الرسالة: «الأرقام ... شياطين ...»

وفي لحظة، كان خارج الحمَّام. أخذ طريقه إلى الخارج بسرعة، ثم توقَّف أمام الباب. كان يريد أن يجعلها مفاجأة للسائق؛ ليرى إن كان سيعرفه أم لا. لكن مفاجأة أخرى كانت في انتظاره. لقد كانت سيارة العصابة تقف أمام الباب، خلف السيارة المرسيدس البيضاء التي عرفها بسرعة؛ فقد كانت تحمل أرقامًا لا يعرفها سوى الشياطين، وهي أرقام مستخدمة لهم في كل مكان، ولا تحملها سوى السيَّارات التابعة لرقم «صفر».

ظل في مكانه يرقب تحرُّكات أفراد العصابة. في نفس الوقت، وقعت عيناه على سائق التاكسي، الذي كان يجلس داخل السيارة في هدوء. وقف بطريقة جدِّية؛ ليرى إن كان السائق سوف يعرفه، وكانت دهشته شديدة؛ فقد نظر السائق له وابتسم، فعرف أنه كشفه!

في هدوء شديد، اتَّجه ناحية السيارة، وفتح بابها الأمامي بجوار السائق، وهو يبتسم ويقول: ما رأيك؟

قال السائق: رائع؛ لقد كانوا يقفون، دون أن يعرفك أحدهم ...

ابتسم «أحمد»، بينما كان السائق يتحرَّك بالسيارة، وهمس: لقد عرفتك أنا أيضًا ...

ضحك السائق وهو يقول: من الضروري أن تكون قد توصَّلت إلى ذلك. لقد قلت لك لا تدعني أكشف أوراقي مرَّة واحدة ...

ضحك «أحمد»، وهو يقول: لكنَّها كانت خدعة جيدة! ...

مواجهة في باطن الأرض!

كان سائق التاكسي، هو أحد عملاء رقم «صفر» في «باريس»، وأثناء الطريق، أخذ يشرح لـ «أحمد» كل ما حدث؛ اكتشاف العصابة لموجة الإرسال، وكيف توقَّع الحصار، وكيف تمَّ قطع الاتِّصال عن عميل رقم «صفر»، الذي يحمل الحرف «س»، وكيف بدأت مراقبة تحرُّكاته هو حتى اللحظة التي طلب فيها تاكسيًا. كان «أحمد» يستمع إلى كلماته في استغراق شديد، بينما كان الليل يُغطِّي الطريق بين مطار «أورلي»، و«باريس». كانت السيارة المرسيدس البيضاء تقطع الطريق على مهل؛ فقد طلب «أحمد» من عميل رقم «صفر» أن يجعل الرحلة هادئةً بعد تلك المطاردة المرعبة.

فوقف رقم «ن»، وهذا هو رقمه في قائمة أسماء العملاء عند رقم «صفر». وقال: هل تُفكِّر في شيءٍ؟ ...

نظر له «أحمد» مبتسمًا، وقال: ماذا تقصد؟

قال «ن»: هل تُفكِّر في شيء خاص بالعصابة؟

ابتسم «أحمد» مرَّة أخرى، وقال: نعم. إنني أعرف أنهم الآن سوف يحاولون اللحاق بنا ...

ولهذا توقَّفت لحظة عند باب المطار، لأعطيهم فرصة الشك والاستنتاج ...

ابتسم «ن»، ثم تحرَّك بالسيارة، لكن إشارات ضوئية آتية من الجانب الآخر للطريق، جعلت «أحمد» يقول: انتظر لحظة؛ إن هناك رسالة ما!

توقَّف «ن»، وظلَّت الإشارات الضوئية تتردَّد. اقتربت السيارة الأخرى؛ مدَّ «أحمد» يده إلى إشارات ضوء السيارة، ثم ردَّ بإشارات، وعن طريق الإشارات المُتبادَلة أرسل إليهم رسالة. كانت هي سيارة الشياطين، وعندما تلقَّوا الرسالة الضوئيَّة استمرُّوا في طريقهم إلى مطار «أورلي». كانت الرسالة خاصَّة بأفراد العصابة، وسياراتهم.

وعندما تجاوزتهما سيارة الشياطين، قال «أحمد»: ينبغي أن نتقدَّم ببُطء.

ابتسم رقم «ن» وهو يقول: إنني أفهم؛ فكيف نتركهم يُفلتون منَّا؟! …

تقدَّما في هدوء. كان الليل هادئًا … لمعت أضواء سيارة قادمة؛ اقتربت منهما، ثم تجاوزتهما. كانت سيارة عادية. انقضى ربع ساعة، ثم فجأة شعر «أحمد» بدفء جهاز الاستقبال، فعرف أن هناك رسالةً من الشياطين. تلقَّى الرسالة التي كانت تقول: «السيارة في الطريق؛ نحن خلفها! …»

نقل «أحمد» الرسالة إلى «ن»، الذي قال: لا بأس؛ هذا شيء جيد …

لمعت من بعيدٍ أضواء قوية في الخلف، عكستها المِرآة الأمامية لسيارة «ن»، فقال: يبدو أنهم وصلوا …

قال «أحمد»: تقدَّم بسرعة عاديَّة … وصمت لحظة، ثم أضاف: لا نريد أن نشتبك معهم. إن مُهِمَّتنا أن نصل إلى مقرِّهم …

هزَّ «ن» رأسه، ثم بدأ يُنفِّذ ما قاله «أحمد» … كانت السيارة الخلفية تقترب. في نفس الوقت، ظهر ضوء سيارة أخرى، أعطت إشارة فهمها «ن»، فلفت نظر «أحمد» إليها.

قال «أحمد» بسرعة: فلنتبادل الأمكنة!

في لمح البصر، كان «أحمد» يجلس إلى عجلة القيادة. اقتربت السيارة الخلفية أكثر. كان «أحمد» يرصدها ويرصد سيارة الشياطين التي كانت تأتي خلفها. قال في نفسه: إنهم الآن بين شطرَي ساندويتش …

ابتسم ابتسامة خفيفة لمحها «ن»، فقال: لعلَّ هناك ما يُضحِك …

قال «أحمد»: نعم … إنهم الآن بين شطرَي ساندويتش!

ضحك «ن» ضحكة قوية. أصبحت سيارة العصابة خلف سيارة «ن» تمامًا.

علا صوت الكلاكس يقطع صمت الليل. وقال «أحمد»: إنه عصَبيٌّ بما يكفي …

أفسح الطريق، فسارت السيارة مندفعة بأقصى سرعة، غير أن «أحمد» كان قد استعد لها … فقد أخرج من جيبه فراشة إليكترونية صغيرة، ثم أطلقها خلف السيارة. اندفعت الفراشة، والتصقت في منطقةٍ أسفل السيارة؛ لأنها تنجذب إلى «عادم» السيارة. ولم يرفع «أحمد» سرعته، لكنَّه نظر في جهاز إليكتروني دقيق كان يتلقَّى إشارات من الفراشة، فيعرف اتجاه السيارة. قال في نفسه: يجب أن يبدأ الشياطين عملهم. أرسل رسالة سريعة إلى الشياطين الذين كانوا خلفه تمامًا. اقتربتْ سيارتهم، في نفس الوقت الذي أوقف «أحمد» سيَّارته.

نظر إلى «ن»، وقال: الشياطين يُقدِّمون تحيَّاتهم؛ لقد بدأت المعركة الآن. ثم فتح باب السيارة لينزل. تبادل التحيَّة مع «ن»، الذي جلس إلى عجلة القيادة، وانطلق.

اتجه «أحمد» إلى سيارة الشياطين، الذين أفسحوا له مكانًا بينهم، فقفز بسرعة، وانطلق «بو عمير»، الذي كان يجلس إلى عجلة القيادة. نظر الشياطين إلى «أحمد» في دهشة؛ فقد كانت هيئته متغيرة تمامًا.

قالت «ريما»: لعلك دخلت في معركة معهم …

ابتسم «أحمد»، وأخذ يقص عليهم ما حدث. في نفس الوقت، كانت عيناه على جهاز المتابعة الإليكتروني؛ ليعرف مكان سيارة العصابة. كانت الساعة قد اقتربت من الرابعة صباحًا.

قال «خالد»: هل تنتهي المغامرة الليلة؟ …

ردَّ «أحمد» بعد لحظة: إن الوقت مسألة ضرورية بالنسبة لنا، فيجب أن ننتهي من كل شيء الليلة إذا أمكن؛ فتعليمات رقم «صفر» محددة. إن كشف موجة الإرسال يعني أن العصابة قد عرفت بوجود الشياطين، وهي تستطيع عن طريق التقاط الموجة تحديد مكان المقرِّ السري؛ وهذه مسألة في منتهى الخطورة …

توقَّف لحظة عن الكلام، ثم أضاف: إن هذه العصابة ليست هي مَكمن الخطورة فقط، فهي سوف تعطى السرَّ لعصابات العالم. وساعتها سوف نقع في مأزق؛ فسوف يكون علينا أن نواجه جميع العصابات في وقت واحد؛ وهذه مسألة في غاية الصعوبة …

صمت «أحمد»، فسكت كلُّ شيء، ولم يكن يُسمَع في الليل إلا صوت موتور السيارة. كان «بو عمير» قد رفع سرعة السيارة التي انطلقت كالصاروخ، في نفس الوقت الذي كان «أحمد» يتابع فيه جهاز المتابعة، الذي يُحدِّد اتجاهات سيارة العصابة.

في نفس الوقت أيضًا، كان «خالد» يبسُط خريطة لـ «باريس» ويُحدِّد عليها مكان السيارة.

قال «خالد»: لقد دخلت شارع «الشانزليزيه» الآن، وتقترب من فندق «نابليون»!

ابتسم «أحمد» وهو يقول: إنهم يتصوَّرون أنني ربَّما عدت إلى هناك؛ فهم يتصرَّفون بالقاعدة التي تقول: إن المجرم يدور حول مكان جريمته؛ حتى يعرف إن كان سرُّه قد انكشف أم لا! … ابتسم ابتسامة عريضة وهو يُضيف: إنهم يتصوَّرونني مجرمًا …

بدأت أضواء «باريس» تلمع أمامهم. قال «بو عمير»: هل نتَّجِه إلى فندق «نابليون»؟ …

ردَّ «أحمد» بسرعة: لا … إنهم سوف يغادرون المكان بعد قليل. إن لم يكن الآن، وفورًا، بعد أن يتركوا مراقبًا؛ وربَّما يختارون واحدًا من الاثنين اللذَين اشتبكت معهما! …

دخلت سيارة الشياطين شارع «الشانزليزيه»، لكنَّها لم تقترب من فندق «نابليون» ... فقد توقَّفت في جانب من الطريق. أطفأ «بو عمير» أضواء السيارة، ثم أوقف مُحرِّكها. ظل الشياطين ينتظرون. في نفس الوقت، كانت الإشارات في جهاز المراقبة تقول إن سيارة العصابة لا تزال في مكانها، لكنها فجأة تحرَّكت.

قال «أحمد»: إنها تتَّجِه إلى مكانٍ آخر ...

انتظروا بعض الوقت، وجرَت عينا «أحمد» على الخريطة المبسوطة أمامه، ثم عَلَت الدهشة وجهه، وقال: إنها تخرج من «باريس»، وهذا يعني أن مقرَّ العصابة ليس في المدينة؛ إنه في مكانٍ آخر خارجها!

نظر إلى «بو عمير»، الذي أدار مُحرِّك السيارة بسرعة، ثم انطلق. كانت السيارة تتَّجه إلى الجنوب، فأخذ «بو عمير» نفس الاتجاه. بعد نصف ساعة، كانت سيارة الشياطين تُغادر «باريس» إلى الحقول، التي كانت تمتدُّ بلا نهاية. كان الليل مُنعِشًا، وبرودة خفيفة تُلامس وجوه الشياطين في رقة.

قالت «ريما»: إنها رحلة طيبة على كل حال؛ فالجو مُمتع ...

ردَّ «مصباح»: لكن يمكن أن تمطر السماء في أي لحظة؛ فنحن في بداية الشتاء ...

انقضت ساعة أخرى، وكانت السيارة تقطع الطريق بسرعة عالية.

فجأة قال «أحمد»: إنها تتَّجه إلى مدينة «رانز»، إحدى المدن الصناعية الفرنسية؛ حيث تتركز الأيدي العاملة العربية هناك، في مصانع «رينو» للسيارات وغيرها ...

ولم تنقضِ نصف ساعة أخرى، حتى كانت سيارة العصابة قد دخلت شارعًا، حدَّدَه «خالد» على الخريطة بأنه شارع «جان دارك». اتجهت سيارة الشياطين إلى نفس الاتجاه. فجأةً ظهرت سيارة العصابة؛ كانت تخرج من مُنحنًى إلى الشارع الرئيسيِّ الذي تسير فيه سيارة الشياطين. أبطأ «بو عمير» سرعة السيارة، حتى أصبحت السيارة الأخرى أمامه مباشرة، وظل يتتبَّعُها. بعد قليل، دخلت السيارة في شارع جانبي. لم يتبعها «بو عمير» هذه المرة؛ فقد أطفأ أضواء سيَّارته، وتوقَّف عند نهاية الشارع. كانت سيارة العصابة تحت بصره تمامًا. توقَّفت السيارة أمام مبنًى من دورين، ثم فجأة فُتح الباب، واختفت السيارة.

همس «أحمد»: إذن لقد وصلنا ...

قال «خالد»: نرجو أن يكون هذا هو المقر ...

قالت «ريما» بسرعة: علينا إذن أن نبدأ؛ فنحن على أبواب الصباح ...

في لحظات، كان «بو عمير» قد دخل بالسيارة في شارع جانبي.

ونزل الشياطين بسرعة.

فجأةً قال «أحمد»: سوف أبدأ العملية ومعي «خالد»، ومع إشارة لكم تتحرَّكون ...

نزل بسرعة هو و«خالد»، وأخذا طريقهما إلى حيث يقع المبنى الذي اختفت فيه سيارة العصابة. كان بقيَّة الشياطين يرقبونهما، حتى اختفيا. كان المبنى مُغلقًا تمامًا.

همس «أحمد»: أتوقَّع أن يكون للمبنى مُلحقًا خلفيًّا؛ ينبغي أن ندور حوله ...

أسرعا في سيرهما، ثم دارا حول المبنى.

قال «خالد»: هذا صحيح؛ إن خلف المبنى توجد مساحة أخرى ...

كان هناك سور مرتفع، فقال «أحمد»: يجب أن نتسلَّق السور.

نظرا حولهما؛ لم يكن يظهر أحد ... قفز «أحمد» قفزة قوية، جعلته عند مستوى السور. أمسكه بيديه، ثم أكمل تسلُّقه، وفي نفس الوقت فعل «خالد» نفس الشيء. لكن كانت المفاجأة أن هناك مساحة واسعة من الأرض خالية تمامًا، ولم يكن فيها سوى بعض الأشجار، وبعض النباتات المتسلقة، خلف المبنى مباشرة.

قال «خالد»: هذه مفاجأة!

ألقى «أحمد» نظرةً سريعةً، ثم همس: فلننزل؛ حتى لا ننكشف ...

بسرعة قفزا إلى الأرض الفضاء، وبسرعة أيضًا أخذا طريقهما إلى حيث قطعة الأرض المزروعة بالنباتات المتسلقة، فوقفا خلف شجرة، وبدأ «أحمد» يدرس المبنى. كان الطابق الأرضي منه بلا نوافذ ولا أبواب. في نفس الوقت، كانت هناك شُرفة واحدة مغلقة في الطابق الثاني.

همس «أحمد»: إن هذه مسألة لافتة للنظر. فما معنى أن يكون الطابق بلا نوافذ؟ لا بد أن لذلك حكمة.

فجأة سمِعا صوتًا يتحدَّث؛ كان واحدٌ يقول للآخر: «ماتاي»، هل قدَّمت تقريرك للزعيم؟

ردَّ الآخر: ليس بعد يا «هنزي»؛ فالمراقبة لا تزال مستمرة هناك ...

قال الأوَّل: لا أظن أنه سوف يعود مرَّة أخرى إلى فندق «نابليون» ...

ردَّ الثاني: إننا نراقب كل الأماكن ... وصمتَ لحظةً، ثم أضاف: غير أننا يجب أن ننقل الصورة الكاملة لما حدث حتى الآن إلى الزعيم!

قال الآخر بعد لحظةٍ: لا بأس ...

فجأةً، ظهر الرجلان بين النباتات، من باطن الأرض، ثم اختفيا.

قال «أحمد»: إذن هناك عمل كبير في باطن الأرض. وصمت قليلًا، ثم أضاف: يبدو أن مقرَّ الزعيم هو هذا المبنى! ...

سأل «خالد» بسرعة: هل نتحرَّك إلى باطن الأرض؟!

فكر «أحمد» بسرعة، ثم قال: نحتاج بقيَّة الشياطين ... لكنَّه أضاف بعد لحظة: فقط بعد أن نرى ماذا هناك ...

تحرَّكا بسرعة، وكانت النباتات المتسلقة تصنع سورًا أخضر، فاستطاعا أن يَنفُذا منه بصعوبة، ثم وقفا فجأة؛ لقد كان أمامهما باب يُؤدِّي إلى صالة صغيرة، ثم تنزل درجات سُلَّم.

قال «أحمد»: هذا هو طريقنا ...

أسرعا يهبِطان درجات السُّلم بسرعة؛ كانت الدرجات مُضاءة بإضاءة خافتة.

همس «أحمد» لـ «خالد»: يجب أن نقطعها بسرعة، قبل أن يظهر أحد؛ فلا يوجد أي مكان يمكن أن نختفي فيه ...

أسرعا أكثر؛ انحنت الدرجات، فانحنيا معها.

فجأةً، سمعا صوتًا يقول: لا تُرسل رسائلك الآن؛ ينبغي أن يُوقِّع عليها الزعيم!

وقفا بسرعة؛ انتظرا مصدر الصوت مرَّة أخرى.

لم تمر لحظة، حتى جاء صوت يقول: إن الرسائل كثيرة، وينبغي أن تصل إلى أصحابها في وقت مبكر ... نظرا حولهما؛ لم يكن هناك ما يُشير إلى وجود أيِّ باب. لكن مصدر الصوت كان بجوارهما تمامًا. وقفا مُلتصقَين بجدار الحائط، بينما كانت درجات السُّلَّم لا تزال مُمتدَّة أمامهما.

همس «خالد»: يبدو أن هناك أكثر من طابق تحت الأرض ...

ردَّ «أحمد»: هذا صحيح ...

فكر لحظةً، ثم قال: يجب أن تنتهي المسألة قبل إرسال هذه الرسائل التي يتحدثان عنها؛ فربَّما تكون إلى عصابات العالم ...

فجأة فُتح باب بجوارهما، فغمر الضوء المكان، وظهر رجلان؛ كانا ما زالا يتحدَّثان. لقد أصبح «أحمد» و«خالد» في مواجهة الرجلين!

قنابل البلي تخفي كل شيء!

لم يُضِع «أحمد» الفرصة. كانت هناك حوالي عشر درجات من السُّلَّم تفصل بينه وبين الرجلين. قفز قفزة سريعة، وهو يُصوِّب كلتا قدمَيه إليهما، في نفس الوقت الذي كان «خالد» يقف فيه ممسكًا بمسدسه، في انتظار الوقت المناسب. غير أن الرجلين، كانا قد تصرَّفا بسرعة؛ ففي نفس المكان الذي ظهرا منه اختفيا مرَّة أخرى. نزل «أحمد» عند صالة صغيرة تُؤدِّي إلى منحنًى، في الوقت الذي لا يزال فيه السُّلَّم مُمتدًّا إلى عُمق آخر. أسرع «خالد»، فلحق به. ووقف الاثنان أمام باب حديدي؛ عالجاه في بداية الأمر، لكنَّه لم ينفتح.

قال «خالد»: يبدو أنه يفتح تبعًا لإشعاع خاص، أو أرقام سرية خاصَّة ...

لم يردَّ «أحمد»؛ فقد كان يفكر. وفي لحظة أخرج جهازًا صغيرًا ثبَّته في فُوَّهة مُسدسه، ثم ضغط الزِّناد. انطلق شعاع قوي من الجهاز، فوجَّهه «أحمد» إلى منتصف الباب الحديديِّ، ثم رسم به دائرة تكفي لمرور رجل. وعندما اكتملت الدائرة، أوقف الإشعاع، ثم خلع الجهاز، وأعاده إلى جيبه. في نفس الوقت، ضغط برفق على الدائرة المرسومة فوق الباب الحديدي، فسقطت في الداخل. أصبح سهلًا أمامهما أن يدخلا بسرعة، لكنَّهما لم يدخلا بسرعة. لقد توقَّفا قليلًا؛ إن أمامها مركزًا كاملًا للأجهزة الإليكترونية ...

همس «أحمد»: إننا أمام مواجهة شاملة الآن، والدخول مغامرة خاسرة في النهاية ...

لم يكد ينتهي من جملته، حتى كانت طلقات الرصاص كالمطر، تسقط من خلال الدائرة في الباب الحديدي. غير أن «أحمد» و«خالد» كانا يحسبان كل لحظة؛ فقد وقفا في منطقة آمنة، يستطيعان منها أن يريا كلَّ شيء، دون أن يكونا في مرمى النيران.

همس «خالد»: ينبغي أن نتركها قليلًا، ثم نبدأ ...

قال «أحمد» في هدوء: بل ينبغي أن نبدأ مباشرة؛ حتى لا نقع في حصارٍ؛ فالمؤكَّد أن أنباء سريعة خرجت من هذا المركز البديع، إلى كل أنحاء المقر، وعن موقفنا هنا، وبذلك يمكن أن نقع في أيديهم بسهولة!

قال ذلك، ثم أرسل رسالة سريعة إلى الشياطين؛ شرح لهم طريقة الدخول، وخريطة المكان.

في نفس الوقت، قال لـ «خالد»: قنابل الدخان.

ابتسم «خالد» وهو يقول: هذه أول مرَّة نستخدم فيها هذا النوع الجديد من قنابل الدخان، ويبدو أنها جاءت في الوقت المناسب.

أخرج قنبلةً في حجم «بلية» صغيرة، ثم دحرجها في هدوء من خلال فتحة الباب الحديدي ... كانت الطلقات قد توقَّفت، لكنها عادت من جديد، وإن كانت أقل. مرَّت دقيقتان، ثم بدأ الدخان ينتشر في المكان. كان يظهر كشيء رقيق، ثم أخذ يزداد.

عَلَت الأصوات داخل المكان، فهمس «خالد»: إنهم سوف يحاولون الهرب الآن، وليس أمامهم سوى هذا الباب؛ إنها سوف تكون مواجهة صعبة.

لم يرد «أحمد»؛ فقد كان ينتظر ما سوف يحدث. مرَّت دقائق أخرى، كان المكان قد اختفى تمامًا، تحت ستار كثيف من الدُّخان، لكنَّ أحدًا من أفراد العصابة لم يظهر.

همس «خالد»: ماذا حدث؟

أخذ الدخان يخِف، وبدأت تفاصيل الأجهزة تظهر أمامهما، ثم كانت المفاجأة! لم يكن هناك أحد، لا يوجد رجل واحد!

قال «أحمد»: لا بُدَّ أن هناك مَنفَذًا آخر، خرجوا منه!

لم يكد ينتهي من كلامه، حتى كانت إشارة قد وصلته؛ لقد كانت إشارة من الشياطين. نقل الإشارة إلى «خالد» الذي قال: لا بُدَّ أن شيئًا قد حدث ...

فجأةً، كانت طلقات الرصاص تُدوِّي حولهما، فقَفزا إلى داخل حجرة الأجهزة، من خلال فتحة الباب. وعندما استقرَّا في مكان يختفيان فيه، قال «خالد»: إن العصابة قد تحرَّكت كلُّها ...

همس «أحمد»: لا بُدَّ أن الشياطين قد حقَّقوا شيئًا ما؛ فالإشارة تعني أنهم قد تمكَّنوا من شيءٍ.

توقَّفت الطلقات في الخارج، ووصلت رسالة من الشياطين: تم التحفُّظ على المجموعة، نحن في النقطة «ل» ...

ابتسم «خالد»، وقال: لقد وقَعَت المجموعة في أيدي الشياطين ...

في نفس اللحظة التي قال فيها هذا الكلام، كانت عينا «أحمد» تدوران داخل المكان؛ خوفًا من أن يظهر شيء لم يستعدَّ له. وكما توقَّع تمامًا؛ فقد ظهر شبح في نهاية المركز المُتَّسع الذي يضم الأجهزة. لم يكن الشَّبَح واضحًا، لكن حركته كانت تكشف وجوده. لفت نظر «خالد» إلى ذلك، فأخرج «خالد» مُسدسه واستعد. غير أنهما ابتسما معًا؛ فقد صدرت إشارة خاطفة من الشَّبَح جعلتهما يبتسمان؛ لقد كانت الإشارة صادرة من «ريما».

رد «أحمد» على الإشارة مُحددًا المكان الذي يختفيان فيه. اقتربت «ريما» في هدوء، حتى انضمَّت إليهما.

قالت «ريما»: إن مقرَّ زعيم العصابة يقع في الطابق الثاني، وهو يُدير كل حركته من هناك.

قال «أحمد» بعد لحظة: يجب أن نشغلهم؛ حتى لا نعطيهم فرصة التفكير في إرسال إشاراتٍ إلى عصابات العالم. إنهم الآن مشغولون بنا، وبمحاولة القضاء علينا، وهذه فرصتنا ...

لم يكد ينتهي من كلامه، حتى كانت الطلقات تتردَّدُ في المكان. كان هناك باب خلفي، هو نفس الباب الذي دخلت منه «ريما»، والذي هرب منه أفراد العصابة. في نفس الوقت، كانت هناك الفتحة الموجودة في الباب.

جاءت رسالة عاجلة من الشياطين: «نحن نقوم بمحاصرة مركز الزعيم؛ عليكم بالانتهاء من عمليَّتكم.» فنقل «أحمد» الرسالة إلى «خالد» و«ريما».

كانت الطلقات تتردَّدُ من المكانين، فقال «خالد»: إنه حصار قوي ...

رد «أحمد»: لا بأس؛ فهذا يعني أن الشياطين هناك لم ينكشفوا بعد!

ظلُّوا في مكانهم، الذي كانت الطلقات تنهال فوقه، لكن أحدًا منهم لم يكن مُعرَّضًا للخطر.

همس «أحمد»: ينبغي أن نعطيهم فرصة أكبر!

سألت «ريما»: كيف؟ ...

قال «أحمد»: سوف ننتشر في المكان؛ فهذا يجعل قدرتهم على التصوُّر أقل. إنهم يتصوَّرون أننا مجموعة كبيرة؛ ولهذا يجب أن تكون كمية النيران كبيرة أيضًا.

ثم حدَّد مكان زحف «خالد»، وقال لـ «ريما»: سوف تبدئين إطلاق النار هنا، في نفس الوقت الذي نزحف فيه أنا و«خالد». وسوف نُغيِّر أماكننا كلما استطعنا ذلك ...

زحف «أحمد» في اتجاه اليمين، بينما زحف «خالد» في الاتجاه الشمالي. في نفس الوقت، كانت «ريما» قد أخرجت مسدسها السريع الطلقات، وبدأت توجه كمية نيران عالية؛ مرة في اتجاه الباب الحديدي، ومرة في اتجاه الباب الآخر. مرت دقيقة، ثم بدأ «أحمد» و«خالد» في إطلاق النيران. كانت كمية النيران تُؤكد أن هناك مجموعة كبيرة، وليس ثلاثة أفراد فقط؛ ولهذا، ارتفعت كمية النيران التي يُطلقها أفراد العصابة. غير أنهم لم يستمروا؛ فقد توقفوا فجأة، وبسرعة أصدر «أحمد» إشارة بالتوقُّف. ساد الصمت المكان، لكنَّه صمت حذِر.

كان الشياطين يراقبون أي حركة يمكن أن تصدُرَ من أي اتجاه. وكما توقَّع «أحمد» تمامًا … ففي حركة سريعة، كان أحدهم يقفز من فتحة الباب الحديديِّ إلى الداخل. مرَّت لحظةٌ أخرى، ثم قفز آخر، ثم تلاه ثالثٌ ورابعٌ. كانوا يلبسون ملابس غريبة، وكأنها ضدُّ النيران والدُّخان.

أرسل «أحمد» رسالةً إلى «خالد» و«ريما»: سوف يكون اشتباكنا بالأيدي …

زحف من مكانه في اتجاه «ريما»، التي كانت قريبة من الباب، في نفس الوقت الذي وضع «خالد» كلَّ مراقبته على الباب الآخر. اقترب «أحمد» من «ريما» حتى انضمَّ إليها. أخرج جهازًا للكشف، ثم ضغط زرَّه، فتحرَّك المؤشِّر.

همس: إنهم يلبسون ملابس معدنيَّة.

ضغط زرًّا آخر؛ فتحرَّك المؤشِّر، وحدَّدَ مسافة مُعيَّنة، فهمس: إن أحدهم يختفي على بُعد ثلاثة أمتار في اتجاه «ن».

تحرَّك من مكانه في هدوء، إلى نفس الاتجاه الذي حدَّدَه مؤشِّر الجهاز. عَلَت وجهه ابتسامة؛ فقد رأى أحدهم يتحرَّك دون صوتٍ. اقترب منه في هدوءٍ، وعندما استجمع قواه ليقفز قفزته النهائية فوقه، كان شيء ضخم يسقط فوقه. وعندما استطاع أن يلتفت، رأى أحد أفراد العصابة يستَلُّ خنجره ليُسدِّدَه إلى قلبه، إلا أنه في لَمْح البصر كان قد تدحرج من مكانه. في نفس الوقت، كانت قدمه تخرج كالسهم في وجه الرجل، فأطاحت به بعيدًا. كان الرجل الآخر قد انقضَّ عليه، لكن «أحمد» تلقَّاه بين ذراعيه، وضربه بقوَّة جعلته يسقط على الأرض.

التفت بسرعة، فرأى «خالد» قد انضمَّ إليه، وأمسك بواحدٍ منهم … كانت «ريما» ترقب ما يحدث، وهي تُفكِّر في الانضمام إليهما، إلا أنها تردَّدَت قليلًا؛ حتى تظلَّ في حالة مراقبةٍ للبابين. فجأة، رأت أحدهم يهُمُّ بالقفز من فتحة الباب الحديديِّ؛ سدَّدَت مُسدسها إليه، وأطلقت طلقة، إلا أن الرجل تلقَّاها في بساطةٍ، وأصبح داخل المركز. تأكَّدت أن ملابس

رجال العصابة ضدَّ الرصاص. فكرَت بسرعة، ثم أخرجت الإبَر المُخدِّرة، وقبل أن يظهر آخرُ، كانت قد استعدَّت. ظهر أحد أفراد العصابة، وعندما همَّ بالقفز، كانت قد سدَّدَت إبرة مُخدِّرة إلى جبهته، فأصابته تمامًا. وقبل أن يصل إلى الأرض، كان قد فقد الوعي. وقفز آخر فأصابته، ولكن فجأة فُتح الباب الخلفي، ثم ظهرت مجموعة من الرجال، كانوا يلبسون نفس الملابس الغريبة.

تعاملت معهم بالإبَر المُخدِّرة، واستطاعت أن تُسقط خمسةً من سبعة دخلوا معًا. في نفس الوقت، كانت المعركة دائرة بين «أحمد» و«خالد» وبقيَّة أفراد العصابة. شاهدت «أحمد» يرفع أحدهم ويدور به، ثم يُلقي به فوق ثلاثة اتَّجهوا إليه مندفعين، فسقط فوقهم وأوقعهم على الأرض ... شاهدت «أحمد» أيضًا يُخرج مُسدسه، ثم يتعامل معهم. كانوا يسقطون الواحد خلف الآخر، فعرفت أنه استخدم الإبَر المُخدِّرة. مرت ربع ساعةٍ لم يظهر أحد منهم، واستطاع «أحمد» و«خالد» أن ينهوا المعركة، وساد الصمت المكان. كان «أحمد» يبدو مُنهَكًا تمامًا؛ في نفس الوقت، كان «خالد» يجلس مُستنِدًا إلى أحد الأجهزة، وهو يُحاول أن يستردَّ قواه.

أسرعت إليه، فهمس لها مبتسمًا: لقد كانت معركة قاسية؛ سوف أكون مُستعِدًّا خلال دقائق ...

لكن الدقائق التالية شهدت معركة أخرى؛ فقد اندفعت مجموعة من الرجال في وقت واحد من الجانبين، غير أن الشياطين كانوا قد استعدُّوا. لقد كانت الإبَر المُخدِّرة هي السلاح الصحيح لهذه المعركة. ولأن إطلاق هذه الإبَر لا يحتاج إلى مجهود؛ فقد استطاعوا من أماكنهم أن يُسيطروا على الموقف؛ فقد كان رجال العصابة يتساقطون كالعصافير، حتى إن بعضهم صرخ وهو يعدو هاربًا: إننا نتعامل مع شياطين ...

أخيرًا، توقَّف الصراع، فهمس «أحمد»: ينبغي أن نُغادر المكان؛ فنحن هكذا محاصرون ...

سألت «ريما»: هل نخرج من الباب الخلفي؟ ...

قال «أحمد»: نعم؛ فالباب الحديدي ليست به حماية كافية ...

زحفوا بسرعة؛ حتى لا يتعرَّضوا لأي هجومٍ مُفاجئ، وعند الباب، قال «خالد»: إن التقدُّم يحتاج إلى قنبلة دُخانيَّة ...

بسرعة لبس كلٌّ منهم جهازًا واقيًا من الدُّخان. أخرج «خالد» قنبلة صغيرة، ودحرجها في هدوءٍ من خلال الباب المفتوح. انتظروا لحظة، حتى بدأ الدُّخان يُغطِّي المكان. وما كادوا يتقدَّمون، حتى سمعوا أصوات سُعال شديد.

همس «خالد»: كما توقَّعت؛ لقد كانت هناك مجموعة في طريقها إلينا …

تقدَّم «أحمد» زاحفًا، وأطلَّ من الباب؛ كان الدُّخان كثيفًا. أخرج بطارية تعمل بالأشعة، وسدَّدَ ضوءَها في قلب الدُّخان. رأى مجموعة من الرجال مُكوَّمة على الأرض. أشار إلى «خالد» و«ريما» أن يتقدَّما. خرجوا من الباب، ثم تقدَّموا في حذر. كان «أحمد» يكشف المكان بضوء البطارية. رأى درجات سُلَّم تصعد، فاتجهوا إليها. كانت درجاتٍ مُتعدِّدة.

همس: خُذا حذركما؛ فقد تكون السلالم هي الكمين الذي يمكن أن نقع فيه …

تقدَّموا وهم يتجسَّسون درجات السُّلَّم بطريقة خاصَّة، لكن فجأة حدث ما لم يكن يتوقَّعه أحد. لقد وصلت رسالة من «بو عمير» و«باسم». كانت الرسالة تقول: «لقد وقعنا!» نقل «أحمد» الرسالة إلى «خالد» و«ريما»، فظهرت الدهشة عليهما.

بسرعة، أرسل «أحمد» رسالةً يطلب تحديد المكان، فجاءه الرد: «نحن في النقطة «هـ» …»

رسم «أحمد» خطوطًا سريعة على إحدى درجات السُّلَّم، ثم قال: إنها أسفلنا تمامًا!

ولم يكد ينطق، حتى كانت إحدى درجات السُّلَّم قد فُتحت، وسقطت «ريما» أمام أعينهما …

الشياطين خلف مكتب الزعيم!

كاد «أحمد» يضحك، وإن ظهرت ابتسامة عريضة على وجهه، وقال: لا بأس؛ هذه ليست قضية هامَّة ...

ابتسم «خالد» هو الآخر، وقال: إن الشياطين يحبُّون مثل هذا الصراع الذكي ...

استطاع «أحمد» ببعض التأمُّل أن يعرف المساحة التي تفتح في السُّلَّم، ولذلك حدَّد الأمكنة التي يمكن أن يتقدَّما منها، دون أن يتعرَّضا للسقوط مرَّة أخرى.

قال بعد قليلٍ: إن العصابة سوف تضع كل جهدها الآن في الإيقاع بنا، ولن تُفكِّر في شيء آخر ...

سأل «خالد»: والشفرة، وموجة الإرسال؛ ألن تحرج من مقر العصابة الآن؟ ...

ردَّ «أحمد» بعد لحظة: لا أظن.

فجأة شعر أن جهاز الإرسال يستقبل رسالة ما. نظر إلى «خالد»، وقال: يبدو أن الشياطين يُرسلون رسالة.

بدأ يتلقَّى الرسالة، ثم عَلَت الدهشة وجهه، حتى إن «خالد» تساءل: ما الحكاية؟ انتهت الرسالة، فنقلها إلى «خالد».

لقد كانت الرسالة من رقم «صفر»، وكانت تقول: إن موجاتٍ صوتيَّة موجَّهة الآن إلى مركز العصابة، ولن تستطيع إرسال أي رسالة إلى أي مكان في العالم، وعليكم بالانتهاء من مُهِمَّتكم ...

كانت الرسالة كافية لتملأ الشياطين بالارتياح، وحتى يدفع الاطمئنان إلى قلوب الشياطين في سجنهم. أرسل رسالة إلى «بو عمير» بما جاء في رسالة رقم «صفر». وعندما انتهى منها، نظر إلى «خالد»، وقال: الآن يمكن أن أستنتج لماذا لم يظهر أحد آخر. يبدو

أن الموجات الصوتية الموجَّهة إلى مقر العصابة الآن تشغل زعيمهم ... صمت لحظة، ثم أضاف: علينا أن نتحرَّك؛ فقد أصبحت المُهِمَّة سهلة.

فجأةً، فُتحت درجة السلم التي يقف عليها، لكنه كان يقف في المنطقة الآمنة. وفي لمح البصر، رأى الشياطين يجلسون على الأرض، أسفلهم تمامًا.

ابتسم، وقال: لا بأس مرة أخرى؛ إننا لن نقع في أيديهم ببساطة ...

تقدَّما في حذَر، حتى وصَلَا إلى قاعة متوسِّطة الاتساع، غير أنه لم يكن يظهر باب واحد.

ابتسم «خالد»، وقال: لا بُدَّ أن الأبواب سحريَّة كالعادة. وكما توقَّع «خالد»؛ انفتح فجأة أحد الأبواب، ثم خرجت حزمة من الضوء القوي، لكن لحسن الحظ لم يكن أحدهما يقف في طريقها. ظلت حزمة الضوء مستمرَّة، فجعلت المكان كأنه النهار. نظر «أحمد» إلى «خالد»، الذي كان يقف قباله على الطرَف الآخر من الباب السحري، وابتسم.

فجأةً، انسحبت حزمة الضوء، وقال صوت: لقد انتهى كلُّ شيء. إن الاشعاع يقضي على أي كائن حي.

وصمت قليلًا، ثم أضاف: لا بُدَّ أنهم انتهوا الآن ...

مرَّت لحظة، ثم ظهر وجه يتلصَّص. كان «أحمد» و«خالد» في انتظار حدوث شيء آخر. وفي لمح البصر، كانت يد «أحمد» تمتد لتجذب الرجل، فيخرج بكامله بينه وبين «خالد»، الذي أسرع بغرز إبرة مُخدِّرة في ذراعه، جعلته يهوي على الأرض.

علا صوت من الداخل: إن الشياطين في الخارج؛ إنهم لا يتأثَّرون بشيء ...

ابتسم «أحمد» و«خالد»، الذي تحدَّث بلغة الشياطين: قنبلة دُخان ...

أشار «أحمد» إليه أن ينتظر قليلًا ...

انتظر «خالد»، وإن كان قد أخرج قنبلة الدُّخان في يده، في انتظار استخدامها ...

كانت الأصوات في الداخل قد توقَّفت. أشار «أحمد» إلى «خالد» أن يتبعه. غادرا القاعة، وعادا إلى السُّلَّم. لم يكن هناك أي صوت يصدر من أي مكان. صعدا السلم بسرعة وحذَر. كانت الجدران ملساء، بما يعني أنه لا يوجد أي مَنفَذ. لكن الشياطين يعرفون أن الأبواب كلَّها سحريَّة في هذا المكان. وضع «أحمد» يده على الجدار بجواره، وأخذ يتلمَّس، في الوقت الذي استمر فيه في الصعود. فجأة، توقَّف؛ كان هناك خط رقيق لا يكاد يظهر، لكن تحسه اليد الخبيرة.

همس بلغة الشياطين: يوجد هنا باب ...

ظل يتتبَّع الخطَّ، حتى حدَّد مكان الباب بالضبط، ثم قال: ينبغي أن نفتحه بأي طريقة.

همس «خالد»: طريقة الاحتمالات ...

ابتسم «أحمد»، وقال: فكرة طيِّبة.

وبسرعة كان يكتب أرقامًا في الهواء، وكأنه يقوم بعمليَّة حسابيَّة. وفي دقيقةٍ واحدةٍ، كان قد حدَّدَ الرقم ١٢٨٤١. همس به إلى «خالد»، الذي كان قد بدأ يُحدِّد مكان قفل الباب، وعندما توقَّفت يده عنده، همس: هذه هي الدوائر الرقمية.

أسرع «أحمد» ووضع أصابعه عليها، ثم بدأ يديرها تبعًا للرقم الذي حدَّده، لكن الباب لم ينفتح، وإن كان قد بدأ يهتز.

قال «خالد»: هناك رقم واحد خطأ!

من جديدٍ، بدأ «أحمد» يُجري العملية الحسابية، ثم ابتسم، وقال: هذا صحيح، إن رقم ٤ يجب أن يكون ٥.

أسرع يُدير الدوائر الرقمية مرَّة أخرى. فجأة انفتح الباب، فجذبه برفق، فاستجاب له. أطلَّ في حذَر إلى الداخل، فلم يجد أحدًا. تقدَّم وخلفه «خالد»؛ كانت هناك مساحة واسعة ليس بها شيءٌ، وكانت هي الأخرى ذات جدرانٍ ملساء. أخذ الاثنان يبحثان عن مكان الباب، وتوقَّفا معًا عند بابين متجاورين. وبنفس نظرية الاحتمالات، استطاعا أن يفتحا الاثنين معًا، لكنها لم يتقدَّما؛ كان كلُّ باب يُؤدِّي إلى مكان، يفصل بينهما جدار.

همس «أحمد»: فليدخل كل منا إلى اتجاه ...

اختفى «أحمد»، واختفى «خالد» أيضًا.

كانت هناك طرقة طويلة بيضاء، لم يرَ «أحمد» آخرها؛ فقد كانت الإضاءة خافتة، بما يكفي لأن يكون آخر الطرقة مُظلِمًا. فجأةً، شعر بموجات مغناطيسيَّة تجذبه. توقَّف لحظة، ثم ترك نفسه للموجات المغناطيسيَّة. أخذت تسحبه، حتى كاد يصطدم بحائط. توقَّف، لكن قوَّة الجذب كانت شديدة ... وضع أذنه على الجدار، وبدأ يلتقط عددًا من الأصوات، لكنَّه لم يتبيَّن أيَّ كلمة. قال في نفسه: لعلَّها حجرة الزعيم ...

أرسل رسالة سريعة إلى «خالد» يطلب الانضمام إليه، غير أن «خالد» ردَّ بسرعة. وكانت رسالته تقول: «إنني في الطريق إلى بقيَّة الشياطين؛ يبدو أن المكان قد أصبح خاليًا.» ردَّ «أحمد» على رسالة «خالد»: «استمرَّ؛ سوف أُرسل إليك ...»

كانت الرسائل المتبادلة بين الشياطين بطريقة الشفرة الخاصَّة بالشياطين، والتي لا يعرفها سوى رقم «صفر» فقط.

ظلَّ «أحمد» واقفًا بجوار الجدار يستمع. كان يُفكِّر: هل يمكن أن تكون قوَّة الجذب شديدة؛ حتى تأخذه إلى داخل الحجرة بالقوة؟ ... وكان هذا ما حدث فعلًا. لقد وجد نفسه

فجأة يصطدم بالحائط، لكنَّه ظلَّ يقاوم. في نفس الوقت، كان يُخرج من جيبه سماعة شديدة الحساسيَّة، ألصقها بالجدار، ثم بدأ يستمع.

جاءته الكلمات واضحةً هذه المرَّة؛ كان صوت يقول: إن الرجال قد أصيبوا بما يُشبه الإغماء …

وقال صوت حاد: لقد ضِعنا؛ أنتم لم تستطيعوا عمل شيء …

فهم «أحمد» أن هذا الصوت هو صوت الزعيم. ظلَّ يستمع، وكانت هذه الجُمَل هي التي وصلت إليه …

- يجب أن تفعلوا شيئًا …
- وقع ثلاثة منهم في المصيدة.
- هناك آخرون، لم نعرف أماكنهم بعد!
- لماذا لم تستخدموا الإضاءة الكاشفة في أرجاء المركز؟
- إنهم يستخدمون طرقًا حديثة لم نسمع بها، ولم نعرفها …

كانت الكلمات كافيةً لأن يفهم كلَّ شيء، لكن ما سمعه بعد ذلك كان أهمَّ؛ لقد سمع صوتًا يقول: إن هناك موجات غريبة تُعطِّل عمل الأجهزة.

وجاء صوت الزعيم يقول: ألم تُرسلوا الرسائل إذن؟ …

ردَّ صوت آخر: لقد حاولنا أيها الزعيم، لكن كل محاولاتنا فشلت …

قال الزعيم: ربَّما تكون لديهم أجهزة هي التي تتسبَّبُ في تعطيل أجهزتنا …

ثم حدث صمت، قطعه صوت الزعيم مرة أخرى: أحضِروهم هنا …

تحرَّكت أقدام سمعها «أحمد»، ثم فجأة فُتح الباب، فاختفى خلفه. خرجت أقدام، فاستطاع أن يعرف أنها لخمسة أشخاصٍ. لم يتحرَّك من مكانه؛ فقد كان يهمُّه أن يلتقي بالزعيم. لمح الأشخاص الخمسة يتقدَّمون الواحد بعد الآخر. قال في نفسه: ينبغي أن يكونوا أربعة فقط؛ حتى تكون معركتهم مع الشياطين سهلة.

وفي هدوء أخرج مُسدسه، وثبَّت فيه إبرة مُخدِّرة، وقبل أن يختفي الرجال جميعًا، أطلق الإبرة على آخرٍ واحد فيهم. توقَّف الرجل لحظة، ثم بدأ يتهاوى. وكان «أحمد» أسرع في الحركة إليه، فتلقَّاه بين ذراعيه، ثم جره مُبتعدًا به؛ حتى لا يلفت ذلك نظر الآخرين. كان الأربعة قد اختفوا. ظلَّ يجذب الرجل، حتى اقترب به من الباب، الذي أُغلق من تلقاء نفسه، لكنَّه كان يعرف كيف يفتحه.

وضع الرجل مُمَدَّدًا عند الباب، وفكر: كيف يمكن أن يستفيد منه الآن؟ ... لكن الوقت لم يطل به التفكير؛ فقد توصَّل لفكرة مُذهلة. حمل الرجل على ظهره، وانحنى؛ حتى لا يستطيع أحد رؤية وجهه، ثم عالج الباب في سرعة فانفتح. دخل مُنحنيًا وهو يحمل الرجل، وبطرف عينه لمح الزعيم واقفًا أمام الشُّرفة الوحيدة التي رآها من الخارج.

قال الزعيم بسرعة: ماذا حدث؟ ...

ردَّ «أحمد» بصوتٍ تمثيلي: لا أدري أيُّها الزعيم؛ لقد أصابته نوبة إغماء بلا سبب ...

قال الزعيم في ذُعر: هؤلاء الشياطين يفعلون أشياء غريبة. وقبل أن يكمل كلامه، كان «أحمد» يخفي ابتسامة لم يرَها الزعيم. أكمل كلامه: وأين بقيَّة الرجال؟ ...

قال «أحمد» بنفس الطريقة التمثيلية: لقد ذهبوا لتأدية المُهمَّة يا سيدي ...

ثم تقدَّم الزعيم من «أحمد» في خطوات هادئة. في نفس الوقت، كان «أحمد» قد استدار في اتجاه الأريكة الطويلة الموجودة؛ حتى لا يرى الزعيم وجهه. وعندما تأكَّد أن الزعيم قد أصبح خلفه مباشرةً، دار دورة سريعة، جعلت أقدام الرجل تصطدم بالزعيم، فاختل توازنه. وفي لحظةٍ، كان قد ألقى الرجل على الأريكة، ثم قفز إلى الزعيم، وسدَّد له لكمة قوية جعلته يترنَّح، لكنه كان قويًّا بما يكفي لأن يستعيد توازنه. غير أن «أحمد» كان أمامه مباشرةً، فعاجله بيمين مستقيمة، استطاع الزعيم أن يُفلت منها، ويُوجِّه يمينًا خُطَّافيَّة إلى «أحمد» الذي تراجع في الوقت المناسب، فطاشت في الهواء. ثم ردَّ عليها بضربة بكفٍّ يده جعلته يَئِنُّ من الألم. وقبل أن يفيق من ألم الضربة الحادَّة، كان «أحمد» قد قفز في الهواء وضربه بقدميه ضربة مزدوجة، جعلته يدور حول نفسه. وقبل أن يتوقَّف، ليستعيد توازنه، كان «أحمد» قد سدَّد إليه ضربةً قوية في بطنه، جعلته ينحني إلى الأمام، ثم ينهار. إلا أن «أحمد» لم يتركه؛ فقد سدَّدَ له لكمة أخرى، جعلته يتراجع بسرعة مُصطدمًا بالمكتب الضخم، ثم ينقلب فوقه بلا حركة. وفي هدوء، جذبه، وأنزله إلى الأرض، ثم جرَّه حتى أخفاه أسفل الأريكة. كان الرجل المُمدَّد فوقها قد بدأ يُفيق؛ فلم تكن الإبرة قوية المفعول، بجوار أنه كان ضخمًا بما يكفي لأن يفقد وعيه لدقائق، غير أن «أحمد» الذي كان يقف أمامه مباشرة؛ انتظَر مُتحفِّزًا.

فتح الرجل عينيه، التي امتلأت بالرُّعب عندما رأى «أحمد»، وقال في استسلام: إنني طوع أمرك.

ابتسم «أحمد» وهو يمدُّ يده؛ ليوثق يديه، وقال: انزِل وارقُد خلف الأريكة.

نفَّذ الرجل ما طلب منه، فوقف «أحمد» لحظةً يرقب المكان الأنيق المُجهَّز بأحدث الأجهزة. كان فوق المكتب تابلوه صغير، فوقه عدَّة أزرار. قرأ المكتوب فوقها، وكانت

مجموعً من الأرقام. مدَّ يده، وضغط الزرَّ رقم ١، فظهر مركز الاتصالات على شاشة صغيرة، أمام المكتب مباشرة. كان المركز واضحًا بأجهزته، وبرجال العصابة الممدَّدين على الأرض. ابتسم، وضغط الزرَّ رقم ٣، فجاءت حجرة خالية تمامًا من أي شيء.

لكنه فجأة سمع صوت أقدام هادئة تتقدم. أسرع ينزلق خلف المكتب، في الوقت الذي أخرج فيه مسدسه، استعدادًا لأي شيء. اقترب صوت الأقدام أكثر، ورأى مِن أسفل المكتب أقدام أربعةٍ يلبسون تلك الملابس الغريبة. فكر بسرعة، ثم بدأ يستعدُّ لتنفيذ فكرته. كانت خُطَّته أن ينتظر حتى يقترب أوَّلهم؛ فيستخدمه للإحاطة بهم جميعًا. اقتربت الأقدام أكثر، واستعد لينقض، لكنَّه فجأة كتم ضحكةً كادت ترتفع؛ فقد سمع صوت «ريما» تقول: لا بُدَّ أن أنتهي من الزعيم، ثم نُطارد الباقين ... لقد استطاع الشياطين أن يُحقِّقوا انتصارًا طيِّبًا. وها هم في ملابس العصابة ...

فكر لحظةً، وقال في نفسه: هل أداعبهم؟ لكنه لم يفعل، فقد خشِي أن يتصرَّف أحد الشياطين بسرعة كالعادة، فيرتكب خطأً جسيمًا، قد يُودي بحياته، لكنه فكر في دعابة أخرى.

أرسل رسالة يقول فيها: «الشياطين، خلف مكتب الزعيم.» ... فجأة سمع ضحكات الأربعة.

قال قبل أن يظهر: نعم، والزعيم أسفل الأريكة.

تعالت ضحكات الشياطين، فقد انتهت العصابة بكاملها؛ إن عليهم الآن إرسال رسالة إلى رقم «صفر» ليتصل بالجهات المسئولة لتتسلم المكان.

وجاءهم ردُّ رقم «صفر»: تهنئتي وتحيتي؛ أتمنى لكم عودة طيِّبة ...

وعندما خرج الشياطين من مركز العصابة، كانت الشمس تتوسَّط السماء؛ فقد انتصف النهار. وفي هدوءٍ، أخذوا طريقهم إلى سيَّاراتهم ... فقد كانوا في حاجة إلى نوم طويل يستعيدون به نشاطهم، في انتظار مغامرة أخرى.

هنـــداوي